TAS_410_01/01

جامعة أبوبكر بلقايد * تلمسان *
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبـي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

رقم 017
تاريخ 2012-09-30

مذكرة تخرج لنيل درجة الماستر

الاستشراق والدرس اللغوي العربي

دراسة كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر- أنموذجا-

إعداد الطالبة :

بشادلي هندة

إشراف الأستاذ:

د. مهدي بوروبة

السـنـة الجـامعية: 2011/2010

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى التي حملتني وهنا على وهن ... و التي وهبت لي حياتها من أجل أن تنعم بابنة ترى فيها كل آمالها و أحلامها... إلى حبيبتي و روح قلبي أمّي الغالية نعماوي نبية إلى أطيب إنسان في الوجود ... الّذي كرّس حياته فكان عونا... إلى من أراد أن تكون له ابنة تتحدّى و [illegible] بنفسها

أبي العزيز بشادلي أحمد

إلى روح أخي الطاهرة أسكنه الله فسيح جنانه أخي العزيز محمد

إلى جميع إخوتي و أخواتي كما لا أنسى أختي و حبيبتي الغالية عائشة

إلى جميع أبناء إخوتي و أخواتي والى الكتاكيت يونس و محمد عبد المالك ومحمد علي و عبد الاله و مليكة و بالأخص الكتكوتة كوثر

إلى كلّ الأهل و الأحباب [illegible] و الأخوال و إلى كلّ من يحمل لقب بشادلي

إلى كافة الأصدقاء و الصديقات نسرين وهوارية ونبيلة و بالأخص حفيظة.

إلى من كان نعم الأخ و الصديق الّذي طالما ساندني في مشواري الدراسي الأخ قبالي عبد الله .

وإلى كل طلبة السنة الثانية آداب و حضارة تخصص حضارة عربية إسلامية أهدي هذا الجهد العلمي المتواضع.

بشادلي هندة

كلمة شكر و عرفان

إلى الذين [illegible] فهم [illegible]

إلى الذين يحترقون كال[illegible] دروب الخير و العلم والمعرفة. الحمد و الشكر لله على [illegible] العلم ، وله الحمد كلّه على معونته و توفيقه ، كما أنّه من باب الآداب والاعتراف بالفضل لمن لهم فضل سنظل ندين لهم به إلى والدي العزيزين.

وإلى الأستاذ الكريم المهدي بوروبة على ما قدمه لي من توجيهات قيّمة

وإلى الذين لم يبخلوا علينا بالدعم المادي والمعنوي من أساتذة وطلبة

إلى كل من قدّم لنا يد العون و لو بكلمة تشجيعية، أو دعوى بالنّجاح أو بنصيحة، كما أشكر عمال المكتبة الّذين ساعدوني على انجاز هذا العمل "اللّهم افتح مسامع قلوبنا بذكرك و ارزقنا طاعة رسولك و عملا بكتابك".

بشادلي هندة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا, من يهده الله ، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

و أشهد أن لا اله إلا اللّه، وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله...

المعروف أنّ الاستشراق قد شغل حيّزا كبيرا في الكتابات العربية و ذلك لأنّ الحضارة الغربية الّتي نشأ فيها الاستشراق هي الحضارة الغالبة في العصر الحاضر ، فقد كتب المستشرقون في شتّى القضايا، فالعربية مدخل سياسي و اقتصادي و ثقافي يحتاجه الغرب في كيفية التعامل مع الشعوب الناطقة بالعربية و قد تميّزت أعمال المستشرقين بالتركيز على النّصوص التراثية بقصد فهمها و الاستفادة منها ، واعتنت فئة من المستشرقين بالكتب النحوية و الصرفية و المعجمية ، فقدّموا خدمات جليلة للإسلام و الحضارة الشرقية فهم الّذين جمعوا التراث و حفظوه من الضياع و نشروه وفق منهج دقيق في التحقيق و التوثيق.

وممّا زاد أهمية الاستشراق أن البعثات العلمية إلى ديار الغرب بدأت منذ بداية القرن التاسع عشر ، وقد تلقى كثير من أبناء المسلمين العلوم الإسلامية على أيدي المستشرقين ، و قد استضافت بعض الجامعات العربية و الإسلامية عددا من هؤلاء للتدريس فيها كما حدث في الجامعة المصرية حين استضافت بعض المستشرقين لتدريس آداب اللّغة العربية منهم المستشرق الألماني برجشتراسر الذي ألقى محاضرات في الجامعة المصرية حول التطوّر النحوي للّغة العربية وهو موضوع بحثنا. وترجع أسباب اختياري لهذا الموضوع نظرا لقلّة الدراسات الّتي تناولت هذا المستشرق ، ولأنّ كتابه له قيمة لغوية و علمية تحتّم علينا دراسته، كما أنّ موضوع الاستشراق و الدرس اللّغوي واسع و يحتاج لدراسات ، و قد انتابتني مجموعة من الأسئلة حول هذا المستشرق و إنتاجه :

كيف كانت رؤية برجشتراسر للدّرس اللّغوي العربي ؟

ما هي نظرة برجشتراسر للتطور النحوي للّغة العربية ؟

ما مدى جهد برجشتراسر في الدرس اللّغوي العربي؟

و قد اتّبعنا في بحثنا هذا خطّة منهجية تمثّلت في مدخل و ثلاثة فصول تناولنا في المدخل جهود المستشرقين في الدرس اللّغوي و يندرج تحته مبحثان الأول مفهوم الاستشراق و نشأته والثاني جهود المستشرقين في الدرس اللّغوي ، الفصل الأوّل وعنوناه بالتعريف ببرجشتراسر و بجهوده العلمية في خدمة التراث العربي و يندرج تحته ثلاثة مباحث الأوّل حياته والثاني أهّم مؤلفاته و الثالث منهجه ، و الفصل الثاني عنوناه بالدراسة الصوتية و الصرفية وقسّمناه إلى ثلاثة مباحث في الأوّل محتويات الكتاب و في المبحث الثاني

المباحث الصوتية وفي المبحث الثالث المباحث الصرفية ، و الفصل الثالث عنوناه بالدراسة التركيبية و الدلالية وقسّمناه إلى مبحثين في المبحث الأوّل دراسة التركيبية و في المبحث الثاني الدراسة الدلالية وقد اتّبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي المقارن معتمدة على عدّة مراجع منها موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي ، وعلم الأصوات لحسام بهنساوي وفقه اللّغات السامية لبروكلمان ، و فقه العربية المقارن لرمزي منير بعلبكي ، و كتاب مدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث العلمي لرمضان عبد التواب ، وكتاب الأصوات اللّغوية لعبد القادر عبد الجليل وغيرها من المراجع .

ومن بين الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث ضيق الوقت وقلة المراجع غير أنّ الكيد في هذه الصعوبات قد ذلل بالاستفادة من الأنترنيت ومن الرسائل الجامعية التي تناولت الاستشراق من الناحية الأدبية و اللغوية .

ولله الحمد عليه توكلت و إليه أنيب.

بشادلي هندة

المدخل

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق و نشأته

المبحث الثاني: جهود المستشرقين في الدرس اللّغوي العربي

1-مفهوم الاستشراق ونشأته:

الظاهر أن الاستشراق كلمة مركبة من الشرق، ومضافا إليه " الهمزة والسين والتاء"، وهي من حروف الزيادة، وهي تفيد في عرف العرب طلب الشيء، ومن هنا فالإستشراق إذن طلب الشرق.[1]

والشرق كما جاء في لسان العرب في مادة شرق" شرقت الشمس" تشرق شروقا طلعت، واسم الموضع المشرق، وكان القياس المشرق ولكنه أمر من هذا القبيل، وفي حديث ابن عباس نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس.[2]

ودلالة المصطلح عند العرب أو عند المسلمين لا تخرج من مفهوم" دراسة الإسلام دينا وما يتبعه من لغات أهله وتواريخهم ومظاهر حضارتهم"، ولهذا رأى " بابيل" في الكاردينال أو ليفرفان كولون" مستشرق هولندي لاهتمامه الخاص بالإسلام كما يبدو في كتابه " تاريخ دمياط" وذلك لأنه اشترك فعلا في سنة 1218م/612هـ في حصار دمياط، وفي الرسائل التي كتبها إلى السلطان الأيوبي الملك الكامل وإلى علماء الدين في مصر باللاتينية إبان الحملة الصليبية الخامسة.[3]

والاستشراق مصطلح ينتابه بعض الغموض والإبهام كما يقول الدكتور " حسين النصار" :" كلمة غريبة يمكن أن تعطينا مثلا جليا للكلمات التي يخضعها اللغويون والنقاد لدراسات عدة ويستخدمها الأدباء في مدلولات متغايرة هي عربية لا شك، فهي مأخوذة من أصل عربي هو (ش.ر.ق)، ومصوغة على وزن عربي خالص هو الإستفعال ولكنني أني اطلعت عليها فيما قرأنا من التراث".[4]

---

[1]- ينظر: لسان العرب، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م المادة (شرق)، ص173.

[2] - نفسه، ص173.

[3] - قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية، ط1، الرياض، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، 1983، ص108.

[4] - عبد القادوس الأنصاري، الاستشراق والمستشرقون، د.ط، 1355هـ ، ص12.

ولعل هذا الغموض مرده إلى اللفظة فلسفيا، والإستشراق بتعبير موجز هو اشتغال نفر من العلماء العُربيين بأحوال الشرق أي الاهتمام بدراسة تراث كل الحضارات التي بزغت هناك باعتبارها مهد الحضارات الهندية والصينية والمصرية والفارسية والشامية وبخاصة العربية وما يتعلق بتاريخها ولغاتها وتراثها وآدابها وفنونها وعلمها وتقاليدها وعاداتها ودياناتها....، فالكلمة إذن تعني تسليط الأضواء على هذه الحضارات بالتدقيق وإمعان النظر فيها و بالاهتمام والاعتناء عند فحصها ودراستها ورصد ظواهرها واستكشاف خباياها وتتبع تصوراتها، وتعليل كل ما يطرأ عليها كأسلوب للسيطرة ولامتلاك السيادة عليها، وهكذا فالمستشرقون هم طوائف وأصناف من دول وأجناس مختلفة تعمل في ميادين الدراسة الشرقية من علوم وآداب خاصة بالعربية وغلب إطلاق هذا اللفظ على المسيحيين أو النصارى الذين أرادوا أن يتثقفوا في الدراسات الإسلامية واللغة العربية.[1]

يظهر ذلك بوضوح في العدد الكبير منهم وحفظة القرآن لا لشيء إلا لفهمه بعمق ويسمى مستشرقا كل باحث في أي فرع من فروع المعرفة التي تتعلق بقريب أو بعيد بهذا الشرق يتعلم أو يعلم المعارف الشرقية ويؤلف في موضوعاتها أو من يترجم أعمالا شرقية ولدراسة كل هذا التراث لا بدّ له من أداة ألا وهي إتقان لغة الشرق والتخصص فيها، وعلى رأس العربية، أو كما يرى المستشرق الألماني المعاصر" ألبرت ديتريش" " إن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق"[2].

وقد أصبح الاستشراق اليوم علما له كيانه ومنهجه ومدارسه وفلسفته ودراساته ومؤلفاته وأتباعه ومعاهده ومؤتمراته فصار حقا على الباحث أن يعنى بتجديد مفهومه والوقوف على معالمه البارزة وآفاقه ومظاهره وأطواره وخصائصه وأهدافه قبل البحث في آثاره وميادين نشاطه[3].

---

[1] -محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق وأحقاد وحملات على النبي- صلى الله عليه وسلم – وبلاد الإسلام، د.ط، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، د.ت، ص35.

[2] -محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات الإسلامية، ط2، 1406هـ/1982م ص11.

[3] - عادل الآلوسي، التراث العربي والمستشرقون، ط1، 1422هـ/2001م ، ص13.

فالاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي وكلمة مستشرق وبالمعنى العام تطلق على كل باحث غربي في تراث الشرق من لغة، وأدب وحضارة، وديانة[1].

يحدد الاستشراق على أنه أسلوب فكري غربي أو منهج غربي يرى الأشياء ويتعامل معها من منظور غربي انطلاقا من أن هناك اختلافا جذريا في الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق، وأن الأول يتميز بالتفوق العرقي والثقافي والعلمي على الثاني، ومن مزايا هذا التعريف أنه يشير الى النزعة العنصرية الواضحة في الاستشراق بكل أنواعه سواء أكان الاستشراق أكاديميا في الأعمال والمؤلفات الأدبية والشعرية التي تكتب عن الشرق أو في المؤسسات السياسية والاستعمارية التي يتعامل الغرب من خلالها مع الشرق[2].

أما إدوارد سعيد في كتابه " الاستشراق" فيميل إلى تعريفه بأنه :" أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة صياغته وتشكيله فكريا وسياسيا وممارسة السلطة عليه"[3].

نستنتج من مفهوم إدوارد سعيد، أن الاهتمام بأحوال الشرق، والكشف عن عقليات شعوبه، وأسراره، وأمزجته، وحضارته وتلمس مواضع القوة والضعف لهذه الشعوب توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار، ثم بعد انحسار الاستعمار المباشر أصبح الاستشراق يمهد الأرضية الصالحة للاستعمار الاقتصادي والسياسي والثقافي لشعوب الشرق بصفة عامة وشعوب الشرق الأدنى بصفة خاصة.[4]

2- نشأة الاستشراق:

نشأت الصلة بين الغرب خاصة والمسلمين منذ أن كان المسلمون في الأندلس وكانت أوثق صلاتهم بالمسلمين من فرنسا وإيطاليا وانجلترا، ففرنسا عرفت المسلمين منذ أن اجتاح

---

[1] - التراث العربي و المستشرقون، ص13.

[2] - أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق،د.ط، الرياض، المنتدى الإسلامي مكتب مجلة البيان، د.ت، ص05.

[3] - سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الاستشراق،ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، 1423هـ /2003م، ص15.

[4] -الحاج سالم الساسي، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،ج1،ط1، ليبيا، دار المدار الإسلامي، 2002م، ص20.

عبد الرحمن الغافقي بجيوشه جبال البرانس واستولى على ناربون وكاراكسون ونيم ولبون و"ماكون" و"أوتن" و"غاليسيا" و"أعالي الرون" و"اللوار" و"أتون" و"أفينيون" و"بورد وشمالا" حتى مدينة "تور" ولم يتوقف زحف المسلمين وتراجعهم إلا في موقعه "بواتييه" سنة 732م[1].

وكانت هناك صلات في عهد الخليفة العباسي "هارون الرشيد" 809م ومراسلاته وهداياه مع الإمبراطور "شارلمان" 814م كان لها دور في توثيق الصلات[2].

ويرى "أحمد الشرباصي" أن الاستشراق بدأ تقريبا في القرن 13 ميلادي حيث انبثق من الحرب الصليبية، التي لم تكن سوى نقطة تحول في تاريخ الشرق[3] حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين وحجة هؤلاء أن العداء السياسي استحكم بين النصارى والمسلمين أيام " نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي"، ومن ثم أيام أخيه العادل إثر الهزائم المتكررة التي ألحقها هؤلاء القادة المسلمون بالصليبيين فرض كل هذا على الغرب أن ينتقم لهزائمه"[4]

والظاهر أن الاستشراق بدأ أولى خطواته في عهد بني أمية على يد راهب سوري يسمى "يوحنا الدمشقي" الذي أخذ في نشر الآراء المحيرة عن الإسلام، ومن خلال كتابه " حياة محمد" الذي قدم فيه الدين الإسلامي على أساس أن المسلمين فرقة نصرانية مارقة ظهرت في عهد هرقل بفعل متين من العرب يدعي محمد أخذ هذا الدين من أحد أتباع أريوس المتوحد الراهب النصراني الذي طردته الكنيسة البيزنطية، لأنه كان يعتقد بالتوحيد المجرد لله فأسس دعوة الإسلام على أساسها وفي هذه المرحلة ظهرت أول كتابات المستشرقين عن الإسلام.

---

[1] -عجيل جاسم النشمي، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، ط1،1404هـ/1984م، ص7.

[2] - نفسه: ص7.

[3] -أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.ط، دار الفكر، القاهرة ،1998م،ص...

وأصدر مجمع فينا المكتبي قرارا في سنة 1312م يقضي بإنشاء عدد من الكراسي لدراسة اللغة العربية[1].

وقد صدر هذا القرار بناءً على اقتراح قدمه المنصر ريموندلول الذي كان يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية بوجه خاص كأفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية وقبول اقتراحه يدل على نمو الفكرة التنصيرية في الغرب المسيحي.[2]

ويعيد "جورجي زيدان" بداية الاستشراق إلى القرن العاشر ميلادي إذ أراد الإفرنج الإطلاع على ما في اللغة العربية من العلوم الطبيعية والفلسفية والطبية ونقلوا كثيرا منها إلى اللاتينية، ومن أوائل المترجمين أو الناقلين هو البابا " سلفستر الثاني" الذي عاش في القرن العاشر الميلادي وتلاه " هرمان" المتوفى عام 1054م وجاء بعده " قسطنطين الإفريقي " وغيرهم[3].

فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها العلمية وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث[4].

3- جهود المستشرقين في الدرس اللغوي:

إن الدرس اللغوي عند العرب كما قال " تروبو" الفرنسي يأتي في موقع متوسط بين النظام اليوناني في الغرب، والنظام الهندي في الشرق فكان من الطبيعي أن يلفت المستشرقون أنظارهم إليه، ليدرسوا نشأته وتطوره، ولا شك في أن كثيرا منهم كانت تستهويه المقارنة بين المدارس اللغوية فراح يبحث في العلاقة بين هذه المدارس، كاليونانية والسريانية والعربية، وعلاقة كل منها بالأخرى، على نحو ما عمل " هيتركس" وغيره.[5]

---

[1] - علي بن ابراهيم، المستشرقون والتنصير، ط1، الرياض، 1418هـ/1998م، مكتبة النورية، ص22.

[2] -رؤية إسلامية للاستشراق، ص26.

[3] - فلسفة الاستشراق، ص55.

[4] -الاستشراق،ص8.

[5] - إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية،ط3،عمان،2001م، دار وائل للنشر، ص13.

وأهم من ذلك أن الدراسات اللغوية عند العرب لها قيمة كبيرة فهي حلقة مهمة في سلسلة العلوم الإسلامية، وقد عدها " قايس"weiss على درجة من الأهمية لمن أراد أن يقوّم الحضارة الإسلامية، بل ذهب هذا المستشرق إلى أبعد من ذلك فنوّه بأهميتها التي تتجاوز دورها الكبير في تاريخ الدرس اللغوي بعامة إلى مكانتها في دراسة تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق.[1]

انصبت عناية الاستشراق على التراث الشرقي كله قديمه وحديثه بوجه عام ،وانكب المستشرقون بكل قواهم المادية والمعنوية على دراسة تراث الإسلام بأسره بوجه خاص؛ إذ هو الطريق الوحيد إلى فهم طبيعة روح الشرق وعقله الوثاب وعكف على البحث في تراث العرب بوجه عام، لأنه لا مجال للشك في أن دراسة اللغة العربية هي الأساس الأول لدراسة الحضارة العربية والتعمق في فهم العالم العربي.[2]

والجدير بالملاحظ هو حرص المستشرقين وعنايتهم باللغة العربية وهم ليسوا من أبنائها ولا يمتون إليها بصلة، وقد يكون للبعض منهم مآرب استعمارية ولكن لم يكن هذا هو الغرض الأساسي فهناك طائفة منهم خدموا اللغة العربية عن صدق وإخلاص فهناك آلاف الكتب التي نشرت بالعربية وأفنى البعض منهم زهرة حياته في درسها.[3]

و يعدّ الدارسون الرائد الألماني الأول الذي أوقف نفسه على الدراسات العربية والإسلامية هو " رايسكة" المتوفى عام 1774م، لقد تعلم العربية دون معونة من أحد واشترى كل المؤلفات العربية التي وصلت إليها يده بالرغم من فقره المدقع، وبدأ نشاطه العلمي بنشر المقامة السادسة والعشرين من مقامات الحريري بعد أن ترجمها إلى اللاتينية ويعتبر هذا المستشرق المؤسس الحقيقي لدراسة اللغة العربية في ألمانيا وأوروبا ومات فقيرا معدما بعد أن أطلق على نفسه " شهيد الأدب العربي".[4]

---

[1] -المستشرقون و نظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ص13.

[2] - فلسفة الاستشراق، ص166.

[3] - نفسه:ص167.

[4] - نقد الخطاب الاستشراقي،ص130.

وازدهرت الدراسات الاستشراقية في ألمانيا بعد " رايسكة" بفضل إنشاء كراس عديدة لتعليم العربية في ألمانيا وازدياد المكتبات الشرقية التي اكتظت بالآلاف من المخطوطات والمؤلفات العربية النادرة، وإنشاء المطابع وتأسيس الجمعيات.[1]

وكان المستشرق "أوجست فيشر" 1865-1940 شديد الاهتمام باللهجات العربية الحية فأضاف بذلك إضافات مهمة إلى الدراسات العربية، وقد صرف سنوات طوال من عمره لإنتاج معجمه العربي " المعجم التاريخي اللغوي" الذي لم يكتب له أن يرى النور[2].

ولقد كان النحو العربي في صورته التي وصلت إلينا عن النحاة القدامى الوسيلة المهيأة لدرس اللغة العربية وفي هذا يقول:" ألبرت ديتريش":" وكانت عدة المستشرق في تعلم نحو اللغة مجموعة من الكتب التي أخذت عن العرب طريقتهم وخضعت في الوقت نفسه لمنهج الغرب في دراسة اللغة، ولذا ورد المستشرقون حوضه وساروا على منهجه في تعلم العربية وتعليمها ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب" سوتسين" الذي استفاد فائدة كبرى من ألفية بن مالك وشرحها لابن عقيل". وقد ترجموا الى لغاتهم بعض كتب النحو، أو حققوها ونشروها، فقد ترجم المستشرق الألماني"يان" كتاب سيبويه سنة 1895م وترجم الألماني " ترومب" شرح الأجرومية وقربه إلى القاريء الألماني ببعض الشروح الإضافية ونشره بعنوان" مدخل إلى دراسة النحاة العرب" ونشر " ديرنبورغ" كتاب سيبويه سنة 1881م وممن ألفوا كتبا في النحو واللغة متأثرين تأثرا واضحا بالنحاة العرب كل من " هاول" و"راين" وغيرهم.

ولسنا نقصد بهذا أن المستشرقين ظلوا يعتمدون على النحو العربي في تعلم العربية فإن لهم مدارسهم الخاصة ومناهجهم المتميزة في وصف العربية وتعلمها، وهم يسيرون الآن على خطى النحو العربي بغرض تعلم العربية ولعل من أبرز طرائفهم في تناول العربية دراستها في ضوء مناهجهم في درس لغاتهم هم ،وهم يستخدمون لهذا الغرض الأساليب الإحصائية في الوقوف على أظهر مفردات اللغة وأشهر تراكيبها النحوية مع

[1] - نقد الخطاب الاستشراقي ، ص130.

[2] - التراث العربي والمستشرقون ،ص37.

مقارنة ظواهرها بظواهر غيرها من اللغات وبخاصة اللغات السامية من حيث الأصوات وبنى الأفعال والأسماء وأصولها اللفظية والتركيبية ولا شك في أن كثيرا من جوانب هذه الدراسات الاستشراقية قد عادت على اللغة العربية بالنفع.[1]

فبرز في العربية" فريدريش روكرت" الذي تتلمذ على يد المستشرق النمساوي الكبير" جوزيف بور جشتالة" وتعلم منه اللغة العربية والفارسية، وانكب على دراسة المخطوطات الشرقية، وترجم أشعارا لبعض الصوفيين العرب" جلال الدين الرومي" و"الحافظ الشيرازي"، وكانت له منهجية فريدة في تعليم اللغات الأجنبية لطلبته، فهو لا يلقن لهم أوليات النحو والصرف ولكنه يشرح لهم المتن الذي يدرسه بطريقة مباشرة ، كما أنه لم يعتن بأشكال الكلمات بل كان يقرأ بعضها ملحنا في التلفظ بها[2].

وانكب بعض المستشرقين على إخراج المعاجم العربية القديمة وتنظيمها، وإصدار المعاجم العربية الحديثة كما واصلوا دراستها بجد واجتهاد، وقد أدى ذلك كله إلى أثرهم أيضا في الأدب العربي المعاصر، حيث تأثر العرب المحدثون في هذا الميدان بمنهجهم تماما.

فقد اعترف "حسين نصار"، وهو من أبرز المعجميين العرب المعاصرين في هذا المجال بتأثره هو باتجاه بوبليتش الذي كتب مقالا طويلا بعنوان " الخليل وكتابه العين" ونشره في مجلة إسلاميات في مجلدها الثاني، وهو من أحسن ما كتب عن الخليل والعين،وأخذت منه ومن توجيهاته فائدة لا أستطيع تقديرها، ومن أدق المعجمات العربية التي ألفها المستشرقون هي: المعجم اللغوي التاريخي،" لفيشر"، القسم الأول من أول " حرف الهمزة" إلى" أبد" القاهرة 1967م، وعلى الرغم من تأكيد "فيشر" نفسه أن أحسن المعجمات العربية التي صنفها المستشرقون كانت في معظمها إما تهذيب للمعجمات العربية

[1] -المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات العربية،ص15.

[2] -نقد الخطاب الاستشراقي، ص131.

التي صنفها العرب، وإما محض تراجم لها ولا بد لنا أن نلاحظ في هذه المعجمات ذلك النقص الخطير الذي تجلى لنا في معجمات العرب، وهو عرضها للغة الفصحى فقط.[1]

وألف المستشرق الهولندي" راينهارث دوزي" الذي صنف ما أسماه تكملة المعاجم العربية، ونقل بعضه إلى العربية عن الفرنسية محمد سليم النعمي، وقد حاول "دوزي" في هذا المعجم أن يعقب على المعاجم العربية، بذكر الكلمات التي لم ترد في المعجمات القديمة وقد نشر معجمه هذا سنة 1881م ويعود الفضل إلى هذا المعجم في الكشف عن معاني مفردات لا نجدها في معجم معياري، كلسان العرب وغيره، ولا يعيب هذا المعجم أن كرر ما قد نجده في المعجمات المعيارية وحسبه أن أصّل كثيرا من المفردات بردّها إلى اللغات التي أخذت منها، وبين التحويرات اللفظية والمعنوية التي طرأت عليها.[2]

ومن الجهود المبذولة في ميدان المعجم ما يعكف عليه فريق من المستشرقين الألمان ومن بينهم" أنطون سبينالر" و"فولف ديتريش فيشر"و"منفريد أولمان" و" هلموت جيتيه"، لإصدار معجم اللغة العربية الفصحى صدر منه مجلد سنة 1970م وبعض الملازم من المجلد الثاني في سنوات لاحقة، وقد سعى هذا المنهج إلى توضيح معاني الألفاظ من خلال سياقاتها في الجمل.[3]

"وإدوارد لين" صاحب المعجم الكبير المنسوب إليه المعروف بـ:(Arabic-English lescicem) لشرح المواد العربية باللغة الانجليزية شرحا موسعا يعتمد عليه، ويستفيد منه الكثير من علماء اللغة العربية والنحو طبعت ثلاثة من أجزائه التسعة بعد وفاته.[4]

---

[1] - فلسفة الاستشراق،ص574.

[2] - اسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ط3، دار وائل للطباعة، الأردن،2002م، ص31.

[3] - نفسه، ص33.

[4] -أبو الحسن علي الحسين الندوي، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون، ط1، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ/2002،ص29.

وقام الاستشراق بإدخال تدريس لهجات العرب المختلفة في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم وأسند تدريبها في أول الأمر إلى أبناء الغرب أنفسهم أمثال" محمد عباد الطنطاوي، وميخائيل الصباغ ثم أخذ علماؤه في دراسة لهجات العرب المتعددة وإخراج مؤلفاتهم فيها.[1]

وقد ظهر مع الاهتمام باللهجات ما عرف باسم الجغرافيا اللغوية أو اللغويات الجغرافية فقد نشر أول أطلس لغوي ألفه:" جليرون وأدموند" اسمه " الأطلس اللغوي لفرنسا"، "Atlas linguistique de la France" سنة 1902-1920م، وقد جاءت الدراسة الجغرافية للهجات في بلاد الشام مزامنة لذلك الأطلس الفرنسي، فقد نشر المستشرق الألماني" برجشتراسر" بحثه" الأطلس اللغوي لسوريا وفلسطين" سنة 1915م بعنوان :

[2] Sprachatlas von syrien and Palastina, ZDPV 38 (1915)

أما الدراسات الصرفية الاستشراقية فقد جاءت في كثير من الأحيان مصحوبة بالمقارنة بين بنية الكلمة العربية وما يناظرها في اللغات السامية الأخرى وبحثوا ذلك في دراسات جزئية، أو ضمن كتب شاملة، تكون الأبواب الأولى فيها للأصوات ثم للكلمات ثم للجمل، وفي مبحث الكلمات يتحدثون عن الصيغ الصرفية والأوزان الفعلية، والاسمية والمصادر وما سوى ذلك من مباحث صرفية.

ومن أهل الكتب التي تحدثت عن اللغة العربية وعن اللغات السامية ذلك السفر الجليل الذي صنعه " كارل بروكلمان" وقد أفاض في المجلد الأول منه في مسائل الصرف وقد أسماه: " الأساس في النحو المقارن للغات السامية".[3]

هناك فوائد كثيرة، تعود على الدرس اللغوي، من معرفة الدارس باللغات السامية، فإنه فضلا عما تفيده هذه المعرفة، في الإلمام بتاريخ الشعوب السامية وحضاراتها وديانتها وعاداتها وتقاليدها تؤدي مقارنة هذه اللغات باللغة العربية إلى استنتاج أحكام لغوية، لم نكن

[1] -فلسفة الاستشراق،ص669.

[2] - المستشرقون والمناهج اللغوية، ص119.

[3] -نفسه، ص39.

نصل إليها، لو اقتصرت دراستنا على العربية فحسب، ونفسر بهذا الأمر سر تقدم المستشرقين في دراساتهم للغة العربية ووصولهم فيها إلى أحكام لم يبقوا إليها، لأنهم لا يدرسون العربية في داخل العربية وحدها، بل يدرسونها في إطار اللغات السامية على المنهج المقارن.[1]

و ألف المستشرق " برجشتراسر" سنة 1928م كتاب، " المدخل الى اللغات السامية" كما ألقى في الجامعة المصرية القديمة محاضرات في التطور النحوي مقارنا العربية باللغات السامية، وقد طبعت هذه المحاضرات بعنوان :" التطور النحوي للغة العربية" في سنة 1929م.[2]

[1] - كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة عين شمس، الرياض، 1377هـ/1977م،ص5.

[2] - نفسه، ص7.

الفصل الأول

المبحث الأول : حياته

المبحث الثاني : أهم مؤلفاته

المبحث الثالث : منهجه

1-حياته:

الثابت أنّ برجشتراسر مستشرق ألماني مسيحي بروتستنتي (لوثري) ، اهتم باللغات السامية بعامة وبالنحو العبري بخاصة، كما وجه عنايته إلى دراسة اللهجات العربية وقراءات القرآن.[1]

ولد في الخامس أبريل من سنة 1886م في قرية بي بلانن أوبيربوسا (إقليم Vogtland) بألمانيا.[2]

بدأ تعلمه في مدرسة "بلاون" من أعمال " زكسن" في ألمانيا ثم التحق بجامعة " ليبزيج" سنة 1904 حيث تلقى الفلسفة، واللغات السامية، على يد "أوجست فيشر"[3].

نال برجشتراسر شهادة التدريس في اللغات والتاريخ الإسلامي عام 1908م ثم اشتغل مدرسا بالمدارس الثانوية إلى أن نال شهادة الدكتوراه من جامعة ليبزج برسالة في النحو العربي عن " استعمال الحروف النافية في القرآن الكريم" سنة 1911م ونال في سنة 1912م إجازة تدريس اللغات السامية والعلوم الإسلامية[4] وحصل على دكتوراه التأهيل برسالة موضوعها:" حنين بن إسحاق و مدرسة Hunain ibn Ishaq und seine schule وقد طبعت في ليدن leyden سنة 1913م" وفيها اهتم بدراسة أسلوب حنين- شيخ المترجمين في الترجمة من اليونانية إلى العربية والسريانية.

وقام "برجشتراسر" من فبراير حتى يونيه سنة 1914م برحلات دراسية إلى إستانبول وسوريا ومصر وفي نهاية سنة 1915م دعي أستاذا في جامعة استانبول ، وكلفته وزارة الحربية الألمانية بالقيام برحلة استكشافية لسوريا وفلسطين، وفي الفترة الممتدة من فبراير إلى

---

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين،ط3، لبنان، دار العلم للملايين 1933،ص85.

[2] نفسه، ص85.

[3] نجيب العقيقي، المستشرقون،ج2،ط1، بيروت،1937م،ص747.

[4] عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، د.ط، مكتبة مدبولي،د.ت، ص91.

مايو سنة 1918م[1]، وفيها تنقل بين بلادها، باحثا وراء اختلاف اللهجات الدارجة بها، وقد سجل كل هذه اللهجات ووضع أطلسا لغويا لسوريا وفلسطين، عبارة عن 42 خريطة تفصيلية، وخريطة واحدة إجمالية، مع شرح لغوي في كتاب مستقل نشر في ليبزج سنة 1915م.[2]

وغداة انتهاء الحرب العالمية الأولى عين أستاذا مساعدا ausser-ordentl في جامعة برلين في سنة 1919م، وما لبث أن عين في نفس السنة أستاذا في جامعة كينزبرج في بروسيا الشرقية)، ومنها انتقل ليكون أستاذا في جامعة برسلاو سنة 1922م، وفي السنة التالية صار أستاذا في جامعة هيدلبرج وفي سنة 1926م أستاذا في جامعة منشن (ميونخ).[3]

وتولى تحرير المجلة الألمانية للدراسات السامية[4] واستقدمته الجامعة المصرية في العامين الدراسيين 1929/ 1930م و 1931/1930م لإلقاء محاضرات في فقه اللغة والنحو المقارن بين اللغات السامية، وانتهز فرصة وجوده في القاهرة ليسجل مجموعة من الأسطوانات لمختلف القراءات القرآنية لعدد من مشاهير المقرئين في مصر آنذاك، وليطلع على المخطوطات المتعلقة بعلم القراءات في دار الكتب المصرية، وكانت ثمرة هذا المجهود نشرته الممتازة لكتاب " غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري في مجموعة Bibliotheca Islamica المجلد رقم 8، كما عني باللغة العامية في مصر وسجل أسطوانات مع الأطفال في القاهرة.[5]ثم استقدمته ثانية في العام الدراسي 1931-1932م فألقى مجموعة من المحاضرات عن " نقد النصوص ونشر الكتب"[6].

وكان "برجشتراسر" يكره " هتلر" ودعوة النازية، وكان لا يرى مانعا من حمل بندقيته والخروج لمحاربته فدفع هتلر إليه بمن يقتله، وكان مغرما بتسلق الجبال ففي إحدى المرات،

---

[1] موسوعة المستشرقين، ص85.

[2] - برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، د.ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1402هـ/1982م،ص3.

[3] - موسوعة المستشرقين، ص85.

[4] -المستشرقون، ص747.

[5] -موسوعة المستشرقين، ص85

[6] -طبقات المستشرقين، ص92.

حينما كان يتسلق الجبال، ومعه طالب من طلبته، إذ تعلق الطالب بقدمه، فهوى من ارتفاع شاهق إلى قاع الوادي، حيث لقي حتفه في شهر أغسطس وهناك اختلاف في سنة وفاته فبعضهم يرجعها إلى 1932م وبعضهم إلى 1933م[1].

2-أهم مؤلفاته:

توزع نشاطه العلمي بين اللغات السامية وتاريخ العلوم عند العرب، وقراءات القرآن .

1-في اللغات السامية:

اهتمّ برجشتراسر بنحو اللغة العبرية، وشرع في إعادة كتابة كتاب "جيزينيوس Gessenius" وهو معتمد النحاة في اللغة العبرية منذ ظهوره، لكنه لم يستطع إكمال هذا العمل، فلم يصدر عنه إلا الجزء الأول في سنة 1918م، والثاني في سنة 1926م وسنة 1929 وهو يمثل الطبعة التاسعة والعشرين: وعنوانه:Wilhelm Gesenius, hebraische Grammratik,29 .

Auflage mit benutzung der von E. Kautsch bear- beiteten28. Aufl.leipzig.B.I-1918,b.t.I.I, 1926 und 1929.[2]

واهتم باللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين، معتمدا على مواد سوسين (الجمعية الألمانية للدراسات الفلسطينية 1915 ونصوص باللهجة الآرامية الحديثة لمعلولا"1915 ومعجم تلك اللهجة 1921 والكتابة الكوفية 1919، واللهجة الدمشقية بنصوصها النثرية (هانوفر 1924)، وله في اللغة العبرية: الأصوات (1913) والعقل 1926[3]، وكتب لمحة عامة عن اللغات السامية في كتاب بعنوان:" المدخل إلى اللغات السامية" (منشن، سنة 1928، كان الأساس في المحاضرات التي يلقيها على طلابه ولهذا جاء كتابا مدرسيا وبعد فصل عام، عرض مختلف اللغات السامية ولخص نحوها، وأردف كل قسم بنص باللغة الأصلية مع الترجمة.

[1] -التطور النحوي، ص4.

[2] -موسوعة المستشرقين،ص 86.

[3] -المستشرقون،ص748.

وبالنسبة إلى اللغة السريانية عني بدراسة هذه اللغة كما لا يزال التخاطب بها قائما في قرية معلولا بسوريا اليوم، فكتب بحثا بعنوان:" حكايات باللغة الآرامية الحديثة ونصوص أخرى من لهجة قرية معلولا" " رسائل في علوم الشرق" AKM ج 13، كراسة2 (النص)[1].

ووجه برجشتراسر عنايته إلى تاريخ العلوم عند العرب وفي هذا الميدان، استهله :

" بإسحاق بن حنين ومدرسته، فعني بالترجمات العربية لمؤلفات جالينوس وبقراط وثاوفرسطس ، ومن ثم صار هذا الميدان رفيقه طوال عمره فأصدر بعد ذلك الدراسات التالية:

- " المنحولات على جالينوس في شرح " الأسابيع" لبقراط بترجمة حنين بن إسحاق" نشر في مجموعة " محصّل اليونانية" ليبستك سنة 1914.
- " شذرات جديدة لثيوفرسطس في الآثار العلوية" (نشر ضمن محاضر جلسات أكاديمية هيدلبرج للعلوم، القسم الفيلولوجي، التاريخي، ج 5، 1918.
- " رسالة حنين بن إسحاق في الترجمات السريانية والعربية لكتب جالينوس".
- " رسائل في علوم الشركة AKM ج17، كراسة 1925" .
- " مواد جديدة عن رسالة حنين في مجموع مؤلفات جالينوس"
- نقد مفصل لنشرة وترجمة وليم طمسون للترجمة العربية لشرح بطس الرومي على المقالة العاشرة من إقليدس، وهي الترجمة والنشرة التي صدرت في هارفرد سنة 1930م

3- في قراءات القرآن:

وربما كان نشاطه في هذا الميدان أبرز إنتاجه وأكثر دواما، ويتوزع إنتاجه هنا بين الدراسات ونشر النصوص:

أ- ففي ما يتعلق بالدراسات فأهم الدراسات هي التالية:

- كتاب اللامات لأحمد بن فارس" (نشر في islamica I (1924),77F)

[1] - موسوعة المستشرقين،ص86.

- قراءة الحسن البصري" نشر في (Islamica II 1932/1-42 XX) .

- القراءات الشاذة في كتاب " المحتسب لابن جني" محاضر جلسات الأكاديمية البافارية للعلوم في منشن[1].

ب- وفيما يتعلق بنشر أمهات الكتب العربية في القراءات، نشر:

- ابن خالوية: القراءات الشاذة في القرآن" ظهر ضمن مجموعة النشريات الإسلامية التي كان يصدرها المعهد الألماني في استانبول، المجلد رقم 7 Bibliotheca Islamica
- ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء" ظهر في نفس المجموعة، برقم 8 وصمم مشروعا كبيرا لعمل" جهاز نقدي" لنص القرآن بعد صدور الطبعة المصرية الرسمية التي أصدرتها الحكومة المصرية في سنة 1924 وسعى لدى الأكاديمية البافارية لإنشاء مركز للقيام بهذا العمل وقدم مخطط لمشروع جهاز نقدي للقرآن" (نشر ضمن محاضر جلسات الأكاديمية البافارية في منشن، القسم الفيلولوجي التاريخي، سنة 1930، الكراسة رقم7 واتخذ معاونا له في هذا المركز أوتو برتسل تلميذه بيد أن وفاة برجشتراسر المفاجئة الطارئة حالت بينه وبين إنجاز هذا المشروع ولم يكمله مساعده برتسل بعد وفاة أستاذه.
- كذلك لم ينجز برجشتراسر عمله الرئيسي الآخر في ميدان قراءات القرآن، وهو كتابة الجزء الثالث من " تاريخ القرآن" الذي أصدر منه الجزء الأول والثاني ثيودور نيلدكه واشغلي (ج1، ليبتك سنة 1909،ج2 سنة 1929)، وإنما أصدر فقط الكراسة الأولى في سنة 1926م وتوفي قبل أن يصدر الكراسة الثانية، فتولى تلميذه برتسل إصدار هذه الكراسة الثانية وكان برجشتراسر خير من يستطيع كتابه هذا القسم من تاريخ القرآن، أعني قسم القراءات بما تهيأ له من معرفة واسعة بالكتب العربية المؤلفة في قراءات القرآن،والتي جمع ميكروفلمات عديدة لها من خزائن استانبول والقاهرة.
- ولا يفوتنا أن نذكر اهتمامه بتاريخ الفقه الإسلامي: فله في هذا الميدان دراستان بالغتا الأهمية :

[1] - موسوعة المستشرقين، ص86.

- الأولى بعنوان:" أوليات وخصائص الفكر الفقهي في الإسلام" وفي هذه الدراسة يقرر أن علينا أن ننظر إلى الفتاوى في الفقه الإسلامي على أنها أصيلة في الإسلام، وعلينا أن نفهم الفقه الإسلامي أساس على أنه نابع من الأوضاع التاريخية المحلية الخاصة بالبلاد الإسلامية ومن روح الدين الإسلامي[1] وتبعا لذلك يدعو إلى عدم المبالغة في دعوى القانون المقارن والبحث عن المؤثرات الأجنبية في الفقه الإسلامي، والثانية بعنوان، " في مناهج البحث في الفقه (نشرت في 1931م Islamica TVR) وفيها يدعو إلى أخذ موضوع وأحد من موضوعات كتب الفقه، وتتبع ما كتب فيه من كتب وأدلى من أقوال طوال تاريخ الإسلام في المذاهب وبالمدارس الفقهية المختلفة وفي هذا السبيل ينبغي اتخاذ كل فصل من فصول كتب الفقه بمثابة وحدة نأخذ في تحليلها وتفسيرها مع الأخذ بعين الاعتبار دائما ما كتبه المؤلفون السابقون وما أتى به كل مؤلف لتبين دوافعه ونظراته.

وبعد وفاته ترك أوراقا في هذا الموضوع نشرها تلميذه "يوسف شاخت" تحت عنوان " جوتهلف برجشتراسر" " الملامح العامة للفقه الإسلامي"، نسقها ونشرها يوسف شاخت ضمن مجموعة متون مدرسة اللغات الشرقية في برلين، ج35) في برلين سنة 1935م.[2]

جهوده في تحقيق المخطوطات:

جاء المستشرق "برجشتراسر" فألف في هذا الفن محاضراته التي ألقاها على طلبه التخصص بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1932/1931م، وقد وزع مؤلفه المذكور الذي قام بإعداده محمد حمدي البكري على ثلاثة أربعة موضوعات رئيسية هي: الشرح والنص والعمل والاصطلاح.

أما في الأول فقد تناول فيه مشكلة النسخ الخطية وتفاوت قيمتها والطرق التي توصل إلى أفضلية النسخ فيها بينها، وخاصة بين الكاملة والناقصة وأحسنية الواضحة من غير الواضحة، وأفضلية قديمها على حديثها، وأحسنية المقابلة من غير المقابلة معرضا لكتابه"

[1] - موسوعة المستشرقين، ص87.

[2] - نفسه،ص87.

اللمع في التصوف" "للطوسي" المتوفي 331هـ الذي نشره "نيكلسون" وغيره مؤكدّا أن "المرجح أن علماء العرب كانوا أكثر تقديرا لقيمة المخطوطات القديمة بخط مؤلفها من علماء الغرب".[1]

وبحث" العلامات الظاهرية في نقد قيمة النسخة" حتى انتقل إلى دراسة الدلائل الباطنية ومن أهمها: الإخلال والتقديم والتأخير والإخفاء وغيرها.

ثم تناول الابرازات التي تطابقها في زماننا الطبعة، حيث درس أسباب تعددها وأنواعها وإسهام الكثير من التحقيقات وبعد أن درسها بإسهاب واف متناولا المعضلات التي واجهها المستشرقون، أورد أمثلة أخرى مأخوذة من اللغة والشعر.

وخرج بخلاصة مفادها أن المفيد في الشرح قد يكون بعيدا عن الأصل أي عما قاله المؤلف نفسه في بعض الأحيان"، هكذا يرى "برجشتراسر" أن الانتحال قد امتد إلى الشعر بعد الإسلام وبناء على هذا تحدث "برجشتراسر" عن وظيفة الناقد والناشر والرواية الثانية والشرح، والترجمة والاقتباس في الشعر وجمع الرواية وترتيبها حيث تساءل: ما وظيفة الناقد أو الناشر في مثل تلك الحالات؟ وما العرض الذي يجب أن يقصد إليه؟ مجيبا بأن وظيفتهما هي الرجوع إلى الأصل أي إلى كلام المؤلف مؤكدا بأنه" يجوز لنا أن ننقد الروايات وأن نؤثر الأليف، ولكن لا يجوز لنا أن ندخل في الديوان ما لم يرو فيه على الإطلاق".[2]

أما في الثاني فقد تناول معضلة النص، مؤكدا أن ترتيب النسخ واختيار روايتها لا تفي بتهذيب المخطوط، بل لابد من اختيار القراءة الصائبة والنقد وسيلة إلى هذا الاختيار ويجب أن يعتمد على الفهم وهذا مبني على أمرين: الأول، معرفة المادة التي يبحث فيها الكتاب، والثاني معرفة اللغة وأساليبها.

[1] -فلسفة الاستشراق،ص551.

[2] - نفسه، ص553.

وأشار كذلك إلى التنقيط والتفليق دارسا إياهما بإسهاب، وآتيا بأمثلة تدل على أهميتها في تحقيق المخطوط ونشره.

وفضلا عن كل ذلك لابد من النظر إلى النص الذي نريد نشره من جهود الناسخ أيضا، والتحريف وكثير من الموضوعات التي تتعلق بعلم الخط العربي وهذا الجانب لم يلق من عناية الباحثين إلا القدر القليل سواء في ذلك العرب وعلماء الاستشراق" ومن المؤكد أن معرفة تاريخ الخط تسهل علينا تحديد أجناس التحريف، وتعيننا على إصلاحها" ويمكن أن يظهر الخلل في النسخ الذي قد يحدث في أول الكلمة أو آخرها ، أو من مقطع بعض الصفحات أو العث أو قص الهوامش".[1]

وأنهى "برجشتراسر" بحثه فيما يتعلق بدراسة النص بالإشارة إلى قاعدتين " عدهما بعض النقاد أساسيتين في نقد النصوص" على الرغم من أنهما تصيبان أحيانا وتخطئان أحيانا أخرى ، الأولى أن النص الأقصر هو الصحيح، والثانية، أن النص الأصعب هو الصحيح، ثم اختتم كلامه عن هذا الموضوع بتشبيه النص المغلوط الذي تتفق عليه كل المسخ بالمريض، وشبه الناقد بالطبيب قائلا:" إن أول وظيفة للطبيب هو أن يتحقق هل إ ن المريض مريضا في الأصل؟" وهكذا الأمر نفسه بالنص، وبعدئذ عليه أن يعين العضو المريض ثم يستدل على نوع المرض الواقع به، وكذلك الأمر بالنسبة للناقد الذي لا بد أن يجتهد في استخراج الخطأ ثم يتقدم بإصلاحه إصلاحا بناءا.[2]

ثم تناول برجشتراسر الإملاء وأشار إلى "أدب الكاتب" لابن قتيبة و" صبح الأعشى" للقلقشندي، وبعد ذلك عرج على الترقيم وأهميته، كما بين فن الفهرسة مبرهنا على هذا كله بالأمثلة العديدة، ذلكم هو اتجاه "برجشتراسر" في دراسته "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" التي تعتبر من أروع ما كتب بالعربية في مثل هذا الفن.[3]

---

[1] - فلسفة الاستشراق، ص555.

[2] - نفسه، ص556.

[3] - نفسه، ص557.

أما في مجال الجغرافيا اللغوية أو جغرافيا اللغويات فقد أنتج أطلسه اللغوي الذي عمله لبلاد سوريا وفلسطين، فقد قام بعمل تسجيلاته كلها بنفسه، في عام 1914م بعد أن حصل على إجازة من جامعة ليبزج، ليقضي شهورا في بلاد الشرق فسافر إلى الأستانة ومنها إلى سوريا، وفيها تنقل بين بلادها، باحثا وراء اختلاف اللهجات الدارجة بها، فمكث أولا في دمشق ثم سافر إلى الجنوب في معان ثم إلى حلب في الشمال، وفلسطين ولبنان، وكانت حصيلة هذه التسجيلات أن وضع أطلسا لغويا لسوريا وفلسطين، وهو عبارة عن إثنين وأربعين خريطة تفصيلية وواحدة إجمالية، مع شرح لغوي في كتاب مستقل طبع في ليبزج سنة 1915م.[1]

وقد استخدم برجشتراسر الطريقة الألمانية في عرض جمل معينة على راوي اللهجة، غير أنه اختار جملا يتصل بعضها ببعض، في سياق قصة من القصص الشائعة في المنطقة، وعلل سر اختياره لتلك الطريقة، بأن المقارنة عن طريق قوائم الكلمات، لا يمكن معها درس الظواهر النحوية، التي تحتاج إلى التراكيب، فقال في المقدمة:" ويواجه تدبير المادة اللغوية القابلة للمقارنة، صعوبات كبيرة بصرف النظر عن الصعوبات الأخرى التي تعترض سبيل تسجيل اللهجات، فقد يكون من السهل عمل قوائم كلمات لموضوع ما، ولكن مثل هذه القوائم لا تحتوي في الغالب إلا على أسماء وأعداد ، وقد تحتوي على أفعال وصفات وحروف غير أننا نفتقد هنا الأمر الذي لا يزال كل شيء بالنسبة لعرض اللهجة عرضا كاملا نوعا ما، وهذا الأمر هو التركيب، موضوع دراسة النحو، فإنه لا يمكن الحصول عليه بهذه الطريقة مطلقا، فيما عدا بعض التصريفات النحوية، التي قد يخرج بها المرء بعد ساعات طويلة من الأسئلة، وهكذا لم تبق إلا طريقة واحدة وهي تسجيل نص متكامل، أو على الأقل جمل متكاملة غير أن مثل هذا النمط من السلوك في معالجة اللهجة، عن طريق النص الكامل تصعب معه المقارنة الكاملة المطلوبة، فلم يبق إلا أن يقسم النص إلى جمل صغيرة، وينطق بها أمام الشخص الذي يمثل اللهجة (الراوي) وهو يعيدها منطوقة بلهجته، وهذا أمر خطير بالطبع ويحتاج إلى حذر شديد، للوثوق من أن الراوي

[1] - رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1417هـ/1997، ص159.

يتحدث بلهجته حقا، ولا يحاول حسبما يستطيع أن يردد ما يسمعه من غيره، غير أنه لا يجوز لنا أن نبالغ في رفض الصيغ، التي تشبه نظائرها في نطق المسجل أمام الراوي، وقد حدث لي مرات كثيرة، أن الأهالي عندما كنت أسأل أحد البدو في حضورهم، كانوا يحاولون حينما يفهمون ما أريد، أن يصححوا للبدوي، كل الصيغ الغريبة، التي ينطق بها على سجيته".[1]

وقد ذكر برجشتراسر الصعوبات التي قابلته في عمله، الذي تولاه بنفسه في منطقة واسعة، ومدة قصيرة نسبيا، فقال:" ومن القواعد المقررة ،أنه لا يجوز الاعتقاد فيما يرويه العربي، عن لهجة لا يتحدثها بنفسه، وإلى جانب هذا تأتي صعوبات أخرى، وعلى الأخص عندما يكون في المكان الذي تبحث لهجته تعبيرات واصطلاحات أخرى، غير التي ألقاها المسجل أمام الراوي، فإن المرء لا يحصل عليها عندئذ إلا بطريق الصدفة، أو في حالة ما إذا كان راوي اللهجة شخص ذكي الفؤاد[2].

وقد بين برجشتراسر بعد ذلك كيف اختار النص الذي عرضه على رواة اللهجة، وتمثلت دراسته الجغرافية في نواحي مختلفة فمثلا في الناحية الصوتية لاحظ برجشتراسر أن الكاف يختلف نطقها بين البدو والحضر، وبالنسبة إلى الصيغ لاحظ مثلا أن الضمير " نحن" ينطق" نحنا" بين الحضريين في الشمال وعدد قليل جدا من البدو، وينطق" إحنا" بين الحضر في الجنوب.

وفي مجال المفردات، يذكر برجشتراسر أن البدو يستخدمون في معنى :"الآن " مثلا: كلمة" هسع" أو" هساع"، وكذلك الحضري و في شرقي الأردن.[3]

هذه أمثلة لما في الأطلس اللغوي من ملاحظات لغوية قيمة، ويلاحظ في هذا العمل أنه ككل دراسة جغرافية للغة وصفى بحث, أي أنه يعني بالواقع اللغوي ويسجله، ولا يهمه البحث عن الأسباب والدواعي، التي قادت إليه، أو بمعنى آخر لا يعنى بأصول الظواهر اللغوية،

[1] -نفسه، ص160.

[2] - مدخل إلى علم اللغة، ص161.

[3] - نفسه، ص162.

وقد أشار برجشتراسر في خاتمة أطلسه إلى ذلك، فقال:" وهذا البحث يرمي إلى توضيح الصلات اللغوية الحاضرة بين سوريا وفلسطين، وأما بحث تطورها التاريخي، فهو عمل قائم بذاته ويحتاج في تنفيذه إلى النقل الواسع عن المراجع التاريخية، وعلى العكس من ذلك لا تكمل البحوث التي تتعلق بلغة سوريا وفلسطين، ولا تلك التي تتعلق بفتح العرب لهذه المنطقة إلا بمعرفة الصلات اللغوية الحاضرة، وإذا كان الفتح العربي لهذه المنطقة قد أدى إلى اندثار اللغة الآرامية، فإن البحث يحتاج إلى تكملة من جانب اللغة الآرامية، ممثلة في بحث تأثير الآرامية على العربية وأثر العربية اللهجات الآرامية الباقية، وهي لهجة (معلولة) من ضواحي دمشق".[1]

3-منهجه:

لا تخرج المناهج العلمية التي استخدمها المستشرقون في دراسة الحضارة الإسلامية، عن المنهج التاريخي، والمنهج التحليل، والمنهج الإسقاطي، ومنهج الأثر والتأثر، ومنهج المطابقة والمقابلة، وهذه المناهج إما أن تكون قد استخدمت مجتمعة أو منفصلة في مجال الدراسات الإسلامية لأنها هي ذات المناهج التي استخدمها الأوروبيون في مجال الدراسات الإنسانية عامة.[2]

أما عن منهجيتهم اتجاه اللغة العربية التي ينبني الاستشراق والاستغراب عليها فيتصف المستشرقون بعدم الدقة والإنصاف في دراساتهم لها، يعزوها الدكتور" محمد حسين هيكل" إلى عدم تمكنهم من الإحاطة بأسرارها كما أن المستشرقون بقدر إساءتهم فهم العبارات فإنهم يضعون النصوص في غير مواضعها ويحملونها ما لا تطيقه ألفاظها وما لا تدل عليه معانيها.[3]

[1] - مدخل إلى علم اللغة، ص164.

[2] -النقد الاستشراقي، ص166.

[3] -الوجيز في علم الاستشراق، ص82.

غير أن المدرسة الألمانية تميزت بالدقة البالغة، والعناية الفائقة، والصبر الجميل، وإتباع المنهج العلمي الصارم بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها.[1]

تبقى الصلة وثيقة بين اللغة والاستشراق بمناهجه ونتائجه حتى لقد بالغ أحدهم في هذا التقدير، فذهب إلى أن :" الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، والمستشرقون، وهم يدرسون العربية، ينطلقون في الغالب من المناهج التي تدرس بها لغاتهم، أو من خلال تأثرهم الكبير بتلك المناهج ومع أواخر القرن الثامن عشر ومطالع القرن التاسع عشر، بدأ علم اللغة يترسم معالمه بوصفه علما مستقلا عن الثقافة والفلسفة، بل بدأت مناهج هذا العلم تتضح وتتميز فكان من أوضحها: المنهج التاريخي، والمنهج التاريخي المقارن، والمنهج الوصفي، والمنهج الإحصائي.[2]

ونجد المستشرق برجشتراسر يتبع المنهج الوصفي في بعض دراساته ويجري دراسات وصفية مسحية للظاهرة اللغوية، على نحو ما فعل في " أدوات النفي والاستفهام في القرآن الكريم"، وقد أفادت دراسات المستشرقين التي طبقت على هذا المنهج حين احتذيت في كثير من الدراسات العربية، ومن ذلك بعض الدراسات الاستشراقية التي طبقها بعض الباحثين في مصر، ومنهم الدكتور" محمود فهمي حجازي": "وقد جرت مع لفيف من طلبتي الماجستير والدكتوراه في الجامعة الأردنية أن نطبق هذه الدراسات المسحية على عديد من أبواب النحو والصرف، اذكر منها: حروف المعاني وباب المفعول به، وأنماط الجملة العربية، والروابط في العربية، وباب الحال، والصيغ الدالة على الفاعلية والمفعولية.[3]

وقد اهتم بعض المستشرقين بدراسة اللهجات عن طريق المنهج الوصفي ومنهم برجشتراسر ففي بحثه " الأطلس اللغوي لسوريا وفلسطين" سنة 1915م وفيه اتبع الطريقة الألمانية في عرض جمل معينة على راوي اللهجة غير أنه اختار جملا يتصل بعضها

[1] -النقد الاستشراقي، ص135.

[2] - المستشرقون والمناهج اللغوية، ص19.

[3] - نفسه، ص116.

ببعض في سياق قصة من القصص الشائعة في المنطقة، وعلل في اختياره لتلك الطريقة بأن المقارنة عن طريق قوائم الكلمات، لا يمكن معها درس الظواهر النحوية التي تحتاج إلى تراكيب.[1]

لقد تفاجأ العرب بقدرة المستشرقين على تتبع التراث العربي وتصنيفه على هذا الشكل الأخاذ، وربما تقترب هذه الصدمة العلمية من ناحية قيمتها في دفع البحث العلمي العربي من صدمة الحضارية الناتجة عن حملة نابليون على مصر، فإن المستشرقين بدورهم خاضوا في دراسة اللغة العربية، معودين إياها على هذا الدرس بفضل الكتب الكثيرة التي ألفوها حول تاريخ آداب اللغة العربية، ولم يزل تاريخ الأدب على تلك الحال من النقص في بعض وجوهه وانتشاره على غير شخصية قائمة في بطون الكتب، إلى أن ذهب المستشرقون يضعون أسسه، ويرفعون قواعده، حتى أوصلوه إلى صورة متميزة قائمة فإذا هو كما نراه الآن علم ذو نظام وترتيب وتبويب ومنهم برجشتراسر الذي تخصص في نحو اللغات السامية، وانتشر صيته مؤلفا لمختصرات في النحو السامي، وأستاذا في جامعة فؤاد الأول 1932/1931م يحاضر في أصول نقد النصوص ونشر الكتب وربما ننقل اعتراف أحد أبرز المحققين العرب وهو" إحسان عباس" بفضل هذا الرجل بقوله:" وتظل الكراسة التي تضم محاضرات برجشتراسر أكثر ما كتب في موضوع التحقيق فائدة وأشده اتساعا وعمقا وإثارة الاجتماعات؟، لأنها تكتفي بوضع القواعد المجردة.[2]

وذلك بالرغم من اتباعه في دراسته "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" طريقة باحثي الآداب الكلاسيكية، التي استطاع أن يطبقها بأمانة على الآداب العربية معتمدا في منهجه على الكتب العربية التي يربو عددها على خمسين ومائة كتاب مما يؤكد دقته وحرصه وعنايته وإخلاصه وأصالته وصبره على السواء.[3]

[1] - المدخل إلى علم اللغة، ص159.

[2] - فالح شبيب العجمي، المناهج الألمانية في دراسة الثقافة العربية، مجلة الجزيرة ، العدد: 125، سنة 1426هـ السعودية، ص1.

[3] - فلسفة الاستشراق، ص557.

وقد طبق المنهج المقارن في دراسته العربية واللغات السامية على يد برجشتراسر في كتابه:" المدخل إلى اللغات السامية" والمحاضرات التي ألقاها مقارنا العربية باللغات السامية وهي بعنوان " التطور النحوي للغة سنة 1929م.[1]

[1] - فقه اللغات السامية، ص7.

الفصل الثاني

المبحث الأول: محتويات الكتاب

المبحث الثاني: المباحث الصوتية

المبحث الثالث : المباحث الصرفية

1-محتويات الكتاب:

كتاب "التطور النحوي للغة العربية" هو عبارة عن محاضرات ألقاها المستشرق الألماني " برجشتراسر" في الجامعة المصرية سنة 1929م، وقد أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور " رمضان عبد التواب"، أستاذ علوم اللغة وفي سنة 1402هـ/1982م طبع الكتاب بمطبعة المجد ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة،ودار علوم الرفاعي بالرياض والغرض من هذه المحاضرات هو دراسة اللسان العربي، فقد تناول فيه المسائل التاريخية الخاصة باللغة العربية وهي في طور كمالها ومن أهم الموضوعات التي عالجها نذكر: اللهجات العربية على اختلافها وكان يرى هذا الباحث أن دراسة اللسان العربي من الوجهة التاريخية له فائدتان:

أولاهما واضحة وهي استكمال معرفتنا باللغة العربية وقصد التوصل إلى معرفة طرائق علم اللغة الغربي، والهدف من هذا الدرس هو تسهيل إدراك معنى علم اللغة التاريخي بواسطة النظر إلى اللغة العربية على اعتبار أن اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية العريقة التي كتب لها البقاء.

وقد اتبع في هذا الكتاب المنهج التاريخي والمقارن، لأنه يتطرق الى دراسة اللغات واللهجات في القديم ويجري مقارنة بين اللغات السامية في المسائل اللغوية.

أمّا قضية المصطلح اللغوي فإن المؤلف وظف مصطلحات سهلة وبعضها لم يوفق فيه على ما ذكر مصحح الكتاب في الهامش. واحتوى الكتاب مقدمتين أولاهما للدكتور رمضان عبد التواب، والثانية للمؤلف وتضمن أربعة أبواب يتدرج كل باب مباحث.

تناول في الباب الأول أصوات اللغة وانطوى ضمن هذا الباب مبحث الصوامت وفيه تحدث عن مخارج الأصوات وصفاتها، بين نطقها ونطق القدماء، وتطرق إلى مجموعة من الظواهر الصوتية منها الإطباق، القوانين الصوتية، المماثلة الصوتية، الإدغام، المخالفة الصوتية، القلب المكاني، التغير الإتفاقي للأصوات، أصوات كثيرة التغير، أحوال الهمز، الواو الياء، نحاة العربية والأصوات الصامتة.

والمبحث الثاني بعنوان الحركات وفيه تحدث عن العناصر التالية: عدد الحركات ، وعن الإمالة، وتغير الحركات من حيث الطول والقصر والرسم الإملائي ،وحذف الحركات وزيادة الحركات، الترخيم والضغط والنغمة.

وفي الباب الثاني عالج الأبنية متحدثا في القسم الأول عن الضمائر وما جانسها، كما تحدث عن مجالات استعمال العناصر الإشارية نحو أسماء الاستفهام.

وتطرق في القسم الثاني إلى الأفعال: أما في القسم الثالث فكان كلامه عن الأسماء متناولا جموع التكسير والجمع الصحيح والمثنى والمؤنث والمذكر، الإعراب، وأسماء العدد.

وتناول في الباب الثالث بعض التراكيب العربية متطرقا في المبحث الأول إلى شبه الجملة، وفي المبحث الثاني الجملة البسيطة والجملة الفعلية وفي المبحث الثالث عرج على تركيب الكلمات في داخل الجملة متناولا العناصر التالية: التعريف والبدل والتوكيد والوصف والتمييز، بالإضافة إلى الأسماء المتعلقة بالأفعال، توابع الفعل، حروف الجر وأدواته. وتطرق في المبحث الرابع إلى أنواع الجمل متحدثا عن العناصر التالية: الاستفهام والنفي، والاستثناء.

وتحدث في المبحث الخامس عن تركيب الجمل، الجمل الوصفية، قيام الجملة مقام الاسم الموصوف، قيام مضمون الجملة مقام الاسم الموصوف،الجملة الحالية والجمل الشرطية. وتناول في الباب الرابع موضوع المفردات متطرقا فيه إلى: المشترك السامي من المفردات، الدخيل في العربية ومصادره كالفارسية والآرامية، والحبشية والأكادية واليونانية واللاتينية.

وختم كتابه بفهرس للموضوعات، ولا يحتوي على خاتمة وعلى فهرس للمصادر والمراجع.

2-المباحث الصوتية:

شملت هذه الدراسة بحثه للصوامت، مشيرا إلى أن هذا العلم قد سبق الغربيين فيه قومان: من أقوام الشرق وهما: أهل الهند والعرب، وأول من وضع أصول هذا العلم جزءا من أجزاء علم النحو.

فقد أشار "برجشتراسر" إلى اهتمامهم بمخارج الأصوات وصفاتها، فاختلفوا في عدد المخارج فمنهم من عدها سبعة عشر، ومنهم من عدها ستة عشر والمشهور هو سبعة عشر ، والغرب نظر إلى هذا على أنه نقص مخل ، لأن المخرج يشترك فيه أكثر من حرف واحد لمعرفة الحرف علينا تحديد علينا تحديد مخرجة.

تقوم عملية الاختبار والتذوق الصوتي عند علماء العربية القدامى على مبدأ الملاحظ المباشرة والشعور الذاتي لقيمة الصوت وتحديد أبعاده ومساره الوظيفي، ولذا فان مخارج هذه الأصوات اختلفت في نظر البعض منهم عن البعض الآخر[1].

ويمكننا أن نحصر المخارج الصوتية، التي استخدمتها اللغة العربية الفصحى على الوجه الآتي:

1- ***الأصوات الشفهية وهي***: (الميم والباء)، وينتج الصوت بالتقاء، الشفتين السفلى متحركة والعليا ثابتة.
2- ***الأصوات الشفهية الأسنانية وهي***: (الفاء)، وينتج الصوت باقتراب الشفة السفلى من أطراف الثنايا العليا.
3- ***الأصوات الأسنانية وهي***: (الذال والثاء والظاء)، وينتج الصوت باقتراب طرف اللسان من أطراف الثنايا العليا.
4- ***الأصوات الأسنانية اللثوية، وهي***: (الدال، التاء، الطاء الزاي، السين، الصاد، الضاد)، وينتج الصوت بعد طرف، اللسان مع أصول الثنايا العليا.[2]

[1] - عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ط1،دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن،1418هـ/ 1998م،ص127.

[2] - نايف سليمان ومجموعة، مستويات اللغة العربية،ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،2000م-1420هـ، ص19.

5- ***الأصوات اللثوية، وهي***: (النون، اللام، الراء) وينتج الصوت بالتقاء طرف اللسان مع اللثة.

6- ***الأصوات الغارية*** (هي الحنك الصلب) وهي:(ج، ش، ي)، تنطلق من وسط اللسان وما يقابله وسط الحنك.

7- ***الأصوات الطبقية (الطبق اللين) وهي***: (الكاف، والغين، والخاء) وتنتج هذه الأصوات باقتراب مؤخرة اللسان من مؤخرة الطبق (الحنك).

8- ***الصوت اللهوي وهو:*** (القاف) وينتج بالتقاء أقصى اللسان باللهاة التقاء محلي.

9- ***الأصوات الحلقية، وهي:*** (العين والحاء)، وينطلق بتضييق الحلق فيخرج الهواء محللا مشكلا الصوتين.

10-***الأصوات الحنجرية وهي***: (الهاء والهمزة) ويخرج الصوتان الحنجرة انسدادا مع الهمزة وتضييق على الهاء.[1]

وعليه فلا يكفي لمعرفة الصوت وتمييزه تحديد المخرج وحده دون علامة ثانية وهي صفة الصوت فمثلا حرفا الباء والياء والفاء قريبة المخرج من بعضها البعض مختلفة الصفات، وقد قسمها برجشتراسر على ثلاثة أنواع: آني صوتي وهو " الباء"، آني غير صوتي وهو" الياء" (ا)، متماد غير صوتي وهو "الفاء"، وأما النوع الرابع أي المتماد الصوتي فلا يوجد حرف شفهي منه في اللسان العربي، لكنه يوجد في كثير من اللغات وهو الـ (V) الفرنسية والإنجليزية".

وليس لصوت الباء نظير مهموس في اللغة العربية ولكنه يوجد في اللغات الأوروبية وبعض اللغات السامية وهو صوت (P) في اللغة الانجليزية مثلا فهو النظير المهموس للباء العربية".[2]

وقد قسم برجشتراسر الأصوات إلى الصفات (آني، ومتوسطة، ورخوة).

---

[1] - مستويات اللغة العربية، ص19.

[2] -حسام بهنساوي، " علم الأصوات"، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية 1425هـ/ 2004م، ص63.

قد ميز علماء العرب القدامى في دراساتهم للحروف العربية بين ثلاثة أنواع لهذا التقسيم التقت مع المحدثين في تصنيفهم للأصوات وهذه الأقسام هي:

- الأصوات الشديدة وهي عند المحدثين الإنفجارية.
- الأصوات الرخوة وهي عند المحدثين الإحتكاكية.
- الأصوات المتوسطة، المائعة"[1].

وحين الحديث عن هذه الأقسام ، نلتقي مع تعريف سيبويه إمام النحاة، عن النوع الأول حيث يقول،:" ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو: (الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، التاء، الدال، والباء)، وذلك أنك لو قلت: الحج، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك، ومنها الرخوة وهي: (الهاء، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الضاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، والذال، والفاء).[2]

وللدكتور "إبراهيم أنِس" رؤية بيانية في معنى الشدة والرخاوة والجهر والهمس عند سيبويه، حيث لا يجد أي مبرر يدعو إلى التناقض والخلط فالموضع في إشارة "سيبويه" هو المجرى الصوتي منذ صدوره من الرئتين إلى حيث ينطلق إلى الخارج، والمخرج غير ذلك، ومنع النفس شعور سيبويه باقتراب الوترين الصوتيين وتذبذبهما، وكذا الحال مع المهموس، ومع صفة الشدة يمنع الصوت وليس النفس، وهذا هو الفرق بين المجهور ومنع النفس، والصوت الذي نسمعه ولا يمنع، ومع الشديد بمنع الصوت نظرا لانحباسه"[3].

وأشار "برجشتراسر" إلى أن هناك بعض الأصوات تختلف بين نطقنا ونطق القدماء، مثل (القاف)، والطاء والجيم والضاد والظاء.

الضاد حسب نطقنا الآن، تعد المقابل المفخم للدال، أي أنها صوت شديد مجهور مفخم، ينطق بنفس الطريقة التي تنطق بها الدال، مع فارق واحد، هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق في النطق بصوت الضاد، وعلى هذا فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال، غير

[1] - الأصوات اللغوية، ص146.

[2] -نفسه،ص148.

[3] - نفسه، ص148.

أننا إذا نظرنا إلى وصف القدماء لها، من النحويين واللغويين وعلماء القراءات، عرفنا أن الضاد القديمة تختلف عن الضاد التي ننطقها الآن، في أمرين جوهريين:

أولهما: أن (الضاد) القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافة اللسان أو جانبه.

وثانيهما: أنها لم تكن انفجارية (شديدة)، بل كانت صوتا احتكاكيا (رخوا).[1]

فقد عدها "الخليل بن أحمد" في حيز (الجيم والشين)، وهما من الأصوات الغارية فقال وهو يذكر أحياز الحروف: " ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد".

كما يقول "سيبويه" :" ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد"[2].

ويوضح ذلك "المبرد" فيقول:" الضاد ومخرجها من الشدف، فبعض الناس تجرى له في الأيمن، وبعضهم تجرى له في الأيسر "[3]، ويقول "ابن جني" :" ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر".[4]

يتضح أن الفرق بين الضاد القديمة والضاد التي ننطقها الآن، وأنها كانت جانبية وليست أسنانية لثوية، أما الفرق الثاني، وهو أنها لم تكن انفجارية، بل احتكاكية أو رخوة.

ويبدو أن الناس كانوا يعانون منذ فترة مبكرة من نطق الضاد فقد اتفقت كلمة العلماء على أنه أعسر الأصوات على اللسان وليس فيها ما يصعب عليه مثله ولعل صعوبتها تكمن فيما قاله "سيبويه" : " لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه".[5]

---

[1] -رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص63.

[2] -نفسه، ص63.

[3] -سيبويه: 432/4.

[4] -

[5] -بحوث الإستشراق واللغة،ص231.

ويقول "برجشتراسر": " أما الإسبان في فترة تأثرهم بالعربية، فقد رمزوا إلى الضاد في الكلمات التي تضمنت هذا الصوت مما استعاروه من ألفاظ العربية بحرفي ld نحو Alcalde " القاضي".

أما "كانتينو" فإنه يقول:" إن النطق القديم كان (ظ.ل) أي ظاء ذات زائدة انحرافية، أي بتعريب طرف اللسان، من الثنايا كما في النطق بالظاء وبأن بجري النفس لا من طرف اللسان فقط بل من جانبيه أيضا".[1]

كما تحدث "برجشتراسر" عن العلاقة بين العربية والساميات، فأجرى مقابلة بين حروف اللغات السامية كلها، وذلك للإجابة عن ما إذا كانت الحروف تنطق في اللغة العربية في عهد "الخليل بن أحمد" و"سيبويه"، كما كانت تنطق في عهد اللغة السامية الأصلية واستنتج ان (الشين) بالسامية صارت (سينا) في العربية، و(السين) الجنبية أو الشجرية صارت (شينا).

إن طبيعة النطق (بالسين والشين) العربيتين يمكن القول إن مخرج (السين) الذي يصفه سيبويه بأنه:" مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا"، موافق لطبيعة نطقها المعروفة أما (الشين) فشأنها مختلف، "فسيبويه" يجعل مخرجها مخرج (الجيم والياء) وهو" من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى". ولعل هذا أقرب إلى أن يكون صوتا جانبيا لأن الشين التي نعرفها اليوم تتكون برفع طرف اللسان نحو القسم الصلب من الحنك وليس من وسط اللسان ، وهذا الدليل وحده غير كاف للجزم بأن (الشين) العربية كانت جانبية في عهد من عهودها، وذلك أن سيبويه ربما اعتمد التقريب في وصف هذا الصوت، ولذلك نستأذن بدليلين آخرين يرجحان إلى حد كبير كون (الشين) جانبية في إحدى مراحلها:

أ- أن الصوت الذي يقابل (الشين) العربية في العربية الجنوبية المعاصرة (كما في المهرية والسقطرية) هو S أي ما كان أصله Sz في العربية الجنوبية المكتوبة بالمستند وS هذا

[1] -جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة:صالح القرمادي، تونس، 1966،ص26.

صوت جانبي كما مر ووجوده يوحي بالأصل العربي الجنوبي القديم وبما قد يقابله من العربية الشمالية.[1]

أن (S) في البابلية المتوسطة والمتأخرة تتحول إلى (L) إذا وليها (t)، من ذلك utaldu بدلا من iktasdu (وصلوا) وفي العربية قد يكون في كلمتي (قشدة) و(قلدة) ما يخلص به السمن من الزبد، شاهده على ظاهرة مماثلة قبل الحرف الإسباني له منها أي (كَ و كْ) وأبقت قد جنحت العربية إذن إلى تغيير الصوامت الصفيرية غير المطبقة، أو أنها غيرت اثنين منها أي (كَ و كْ).

وأبقت على الثالث أي (S) فصار في فترة لاحقة، يميز عن (S) التي أصلها النطق السامي الأصلي ( ) وبين النطق الحالي للشين.[2]

وقد تحدث برجشتراسر عن مسألة الإطباق بأنه في اللغة العربية نوع من الاستعلاء الذي هو رفع أقصى اللسان نحو ما يليه من الحنك ويراد على ذلك تقلص ما في الحلق وأقصى الفم وهو سائد في كل اللهجات العربية والآرامية ما عدا الحبشية وخاصتها زيادة صوت كالهمز إلى الحروف المطبقة.

قال فيه سيبويه:" الحروف المطبقة وهي التي إذا وضعت لسانك مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان في الحنك إلى موضع الحروف وهي الصاد والضاد والطاء والظاء.[3]

وعرف "ابن جني" الإطباق بقوله:" أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له ولولا الإطباق لصارت الظاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد، إذا أعدمت الإطباق إليه".[4]

---

[1] - رمزي منير بعلبكي، فقه العربية المقارن (دراسة في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية، ط1، ديوان العلم للملايين، لبنان، 1999، ص193.

[2] -نفسه، ص 271.

[3] -الأصوات اللغوية، ص271.

[4] -نفسه،ص271.

ويلاحظ أن الكاف ليس لها نظير مجهور في اللغة العربية الفصحى بيد أن الجيم القاهرية التي يرمز لها بالرمز(ݣ) من الخط الفارسي هي النظير المجهور للكاف ، وكما سبق ذكرنا أن الجيم القاهرية موجودة في اللغة السامية كالعبرية والسريانية والحبشية.[1]

وتطرق "برجشتراسر" إلى القوانين الصوتية بأنها كانت تسمى قديما أصولا مطردة ومعناها أن كل (باء) مثلا في أي كلمة، وجدت من السامية الأم، صارت (فاء) في اللغة العربية بغير استثناء، والتغيرات المطردة منها المطلقة ومنها المقيدة بشرط.

ومن بين العلل التي أدت إلى التبادلات الصوتية القانونية، هي أن الأكادية فقدت كل الحروف الحلقية، (كالعين والحاء)، وسبب ذلك أن العراق كان يسكنه في أول الوقت السومريون، ثم دخله قوم من الساميين وامتزجوا بأهله، فاتخذ السومريون لغة الساميين لغة لهم، ولما كانت الحروف الحلقية غير معروفة، لم ينطقوا بها في اللغة السامية أيضا، بل أهملوها فتلاشت، ولا توجد في اللغة الأكدية التي نشأت هكذا، فالعلة هي امتزاج اللغتين وهي من أهم علل تغير اللغات عامة، وعلة أخرى هو ذوق العصر، مثال ذلك في اللغة العربية أن بعض أهل القاهرة كان استخشن نطق القاف واستغلظه فأبدله بالهمزة.

إن القوانين الصوتية هي التي تعبر عن علاقة بين جانبين متتابعين للغة الواحدة على سائر اللغات أو اللهجات، فقد نجد تطورا صوتيا في إحدى اللهجات، في حين لا نجد في لهجة أخرى وليس معنى أنها قوانين أي أنها لابد أن تطبق على سائر أنواع النشاط اللغوي الإنساني، فهي ليست قوانين عامة".[2]

فمن المعلوم مثلا أن القوانين في العلوم الطبيعية تصدق دائما بقطع النظر عن المكان والزمان، فالتيار الكهربائي إذا وقع تحت ظروف معينة، سوف يحلل الماء إلى الأوكسجين وهيدروجين في أي مكان وفي أي زمان، وسوف يكون في استطاعتنا أيضا أن نتنبأ بعض النتائج الأخرى إلى حد معين، أما قوانين الأصوات فليس لها هذه الخواص، إنها تنبئ فقط عن مقدار معين من الإطراء في التطورات السابقة في حدود معينة، من حيث الزمان والمكان أي

[1] - علم الأصوات، ص77.

[2] - حسام بهنساوي : علم الأصوات: ص184.

أنها تشير إلى أن صوتا معينا قد تطور إلى صوت آخر بذاته في فقرة كذا وفي لغة كذا، تحت ظروف معينة ومحددة تحديدا دقيقا.[1]

تحدث "برجشتراسر" عن المماثلة الصوتية أو الإدغام، فهو يرى أنه كثيرا ما تشابهت حروف الكلمة، بعضها ببعض وأن هذا التشابه من أهم العوامل التي سببت إبدال الحروف، ومعنى التشابه والتماثل أن حروف الكلمة مع توالي الأزمان كثيرا ما تتقارب بعضها من بعض في النطق وتتشابه وهذا التشابه نظير لما سماه قدماء العرب إدغاما، غير أن التشابه والإدغام قد اشتركا في بعض المعاني، واختلفا في بعضها، وذلك أن معنى الإدغام ، النطق بالصوتين صوتا واحدا مع الزيادة في زمنه.

وينقسم التشابه إلى كلي وجزئي، وينقسم من جهة أخرى إلى مقبل ومدبر ومتبادل أنواع التشابه من وجهه علم الأصوات وجدنا تتفاوت تبع مقدار تغير الحروف، فقد تتغير في الحرف صفة واحدة فقط.

وقد لا يقتصر التغير في الحرف على صفة أو صفتين بل يتعدى ذلك إلى المخرج وقد يصيب التغير المخرج والصفات معا وهذه التشابهات كلها مطردة، ومنها اتفاقية لا تحصل إلا في بعض الكلمات.

في العربية والعبرية والآرامية، تتأثر "تاء" الصيغة الانعكاسية "تاء الافتعال" بأصوات الصفير المفخمة أو المجهورة، التي تبادلت معها الأمكنة فتنقلب "طاء" أو "دالا" مثال ذلك في العربية: اصتبغ > اصطبغ، اضتجع > اضطجع، ارتجر > ازدجر.[2]

وتشترك السامية الغربية في قلب " التاء" إذا كانت لاما للكلمة إلى " دال" حين تكون عين الكلمة" باء" وقد حدث ذلك أولا، في الصيغ التي تتصل فيها الباء بالتاء اتصالا مباشرا.[3]

[1] -ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق: كمال محمد بشير،د.ط، مكتبة الشباب 1975،ص183.

[2] - فقه اللغات السامية، ص56.

[3] - نفسه، ص56.

في كل اللغات السامية، يتأثر في النطق الحي، الصوت المهموس بما بعده المجهور فيجهر وكذلك العكس، إذ يتأثر الصوت المجهور بما بعده المهموس، فيهمس مثله وكذلك تتأثر النون في النطق، بأصوات الشفة التي بعدها، فتتحول إلى ميم، كما تتأثر "الميم" بما بعدها من الأصوات الأسنانية، فتتحول إلى (نون).[1]

وفي العربية القديمة تتحول (ب) قبل (الراء) إلى (ب) في الكلمة العبرية Paros < برغوث وكثيرا ما نقرأ في علم تجويد القرآن عن تبادلات مثل:سراط > صراط > زراط.[2]

لا نذكر هنا من الانقلابات العديدة في اللهجات العربية الحديثة، إلا انقلاب المرفق مفخما، بسبب "الراء" ففي لهجة سوريا: tor <tor "ثور" وفيها كذلك darb < darb " درب".[3]

وهذا النوع من المماثلة يوجد في شكله التقدمي كذلك في شمال عربي إفريقيا فالكلمة العربية القديمة:" روث"، أصبحت في شمال مراكش: rutt، وكذلك كلمة:" عفريت" أصبحت في تونس، "عفريط".[4]

وفي العربية القديمة تتماثل "تاء الافتعال" تماثلا تاما، مع ما قبلها من "دال" أو " طاء" دائما ، ومن "ذال" أو " صاد" أو "ضاد" غالبا كالأمثلة التالية: ادترك> ادرك، اذكر>، اضتجع > اضجع، اصتبر> اصبر.[5]

2/المخالفة الصوتية: يقول برجشتراسر أن التخالف علته نفسية محضة، نظيرة الخطأ في النطق فإنا نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق ويلفظون بشيء غير الذي أرادوا وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة ببعضها البعض لأن النفس يوجد قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه.

---

[1] - نفسه،ص57.

[2] -نفسه، ص58.

[3] -نفسه، ص 58

[4] -فقه اللغات السامية ، ص58.

[5] -نفسه، ص59.

بعد حصوله بمدة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها الحروف المتشابهة.

والتخالف نوعان:

منفصل: وهو ما كان بين حرفين فارق ومتصل، ما تجاوز فيه الحرفان وهو على الأخص في الحروف المشددة والحرف المشدد هو حرفان مثلان متتاليان، مدغمان في حرف واحد وهناك نوع من تخالف الحروف المشددة وهو بقلب أول حرف منها إلى نون وهو الأكثر وقوعا.

ويؤكد اللغوي "Brosnahan" أن أكثرية اللغات تعتمد تحقيق ظاهرة المخالفة في الأصوات الأنفية والترددية، كاللام والميم والنون والراء، تيسيرا للنطق، وتحقيقا لحالة الانسجام في التيار الكلامي، ويمكن في ضوء هذه الظاهرة تفسير الكثير من عوامل الإبدال والإعلال التي تطفو على سطح بعض الوحدات اللغوية.[1]

إن المخالفة لا تتم إلا حين يتجاوز صوتان متشابهان من الأصوات الإضافية أو الأصوات الرخوة.[2]

ويسجل الدكتور "إبراهيم أنيس": " إن المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة ويسمى هذا تغاير المجاورة.[3]

والقدماء استثقلوا التضعيف ورأوا في تحقيقه جهدا كبيرا، فمالوا إلى إبدال الصوت المضعف بأحد الأصوات الصائتة، لسهولتها ويسرها في التحقيق، ذلك لصعوبة ارتفاع اللسان والعودة إلى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لإنتاج الصوت نفسه ثانية.[4]

وتحدث "برجشتراسر" عن القلب المكاني بأنه تغير آخر وهو التقديم والتأخير أي أن حرفا من حروف الكلمة يقدم، وآخر يؤخر مكانه وعلته أن يتغير ترتيب الحركات في

---

[1] - الأصوات اللغوية، ص291.

[2] - الأصوات اللغوية، ص294.

[3] -نفسه، ص294.

[4] - نفسه ، ص296.

التصورات أسهل من تغيرها الموجب للتخالف، واللغة العربية كثيرا ما احتفظت بالصورة للكلمة، مع الصورة الجديدة أي التي طرأ عليها التقديم والتأخير وأحيانا فقدت اللغة العربية الأصلية وحافظت على الصورة الجديدة فقط وأمثلة التقديم والتأخير عديدة جدا في اللغة العربية.

إن القلب المكاني من الظواهر الصوتية المشروطة أي من الظواهر التي لا تحصل إلا في مواضع بعينها فلا تكسب صفة الإلزام، وحد القلب المكاني تغيير موضع الوحدة اللغوية في التعاقب وهذا التعميم يقع تحته الصوت والمقطع والكلمة أو الكلمات ومع أن ظاهرة القلب المكاني غالبا ما تقع عن طريق الخطأ في لفظ الكلمات فان كثيرا من الكلمات الناشئة عنها يدخل في اللغة وقد يجرد منه جذر فيشق منه، من ذلك "أيس" والراجح أنه مقلوب عن "يئس" فقد جرد منه ذر ثلاثي نقع على مشتقاته في المعجم ومثله "جبذ" المقلوب عن "جذب" أيضا، وقد تقلب كلمة عن أخرى ولا ينشق منها غيرها فيسهل الجزم بالأصل، من ذلك أن "اضمحل" مقلوب عن "اضمحل" وليس العكس لأنهم لم يقولوا "امضحلال" بل استعملوا "الإضمحلال" كما نبه "ابن السكين" ومهما يكن من أمر فقد أفادت العربية من ظاهرة القلب المكاني فجعلتها إحدى وسائلها في توليد الألفاظ، كما في الكلمات التي وردت بصيغتين إحداهما منصوبة والأخرى مهموزة نحو: " شاكي السلاح وشائك السلاح" وليست العربية بدعا في ظاهرة القلب، فأخواتها الساميات جميعا عرفت هذه الظاهرة أيضا كما تدل المقارنة فيما بينها"[1].

وفي العربية يحدث القلب المكاني وغيره، بين صوت الصفير و"الواو" في : قووس> قسوو > قسي بالمخالفة كما يحدث القلب بين "السين" والأصوات الغارية والشفوية في الكلمات الأجنبية مثل: الاسكندر> الاسكندر، ومثل الكلمة اللاتينية escercitus > عسكر ويحدث القلب المكاني كذلك في كلمة " المرء" بعكس"أمرءا".[2]

[1] - فقه العربية المقارن، ص82.

[2] - فقه اللغات السامية، ص81.

وفي العبرية يحدث القلب المكاني، بين الأصوات المائعة في Sinla (= شملة) Salna كما يحدث بين الصوت المائع والحركة.[1]

أشار "برجشتراسر" إلى التغير الاتفاقي للأصوات ويرى أنه من التغيرات الاتفاقية للحروف ما ينقلب فيه صفة واحدة، وهناك ما انقلب فيه صفتان، وما انقلب فيه المخرج وقد يوجد بين تغيرات الحروف، ما ظاهره اتفاقي وهو في الحقيقة مطرد.

تأثر صوت الصاد، بصوت الدال بعده، فيتحول إلى صوت الزاي المرفق حيث يتخلى عن صفة التفخيم ليتناسب مع الدال المرفقة بعده وقد حدث مثل هذا التحويل في اللهجات العربية القديمة، وذلك في مثل " يزدق" في كلمة " يصدق" حيث تأثرت الصاد بصوت الذال بعدها فتحولت الصاد إلى نظيرها المرفق وهو الزاي"[2].

في بعض الصور تحول (الميم) الساكنة، (نونا) ومن أمثلة ذلك قولهم في " يزحف" و"يسحف" حيث تأثرت (الزاي) وهو صوت مجهور، بصوت (الحاء) المهموس بعدها، فقلبت (الزاي) المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو (السين) ليتناسب و(الحاء)[3].

وقد ذكر النحويون العرب أن (الكاف) التي بين (الجيم) و(الكاف) و(الجيم) التي (كالكاف) و(الجيم) التي (كالشين)، ونرى أن الثانية تقارب نطق هذا الصامت في سائر اللغات السامية ويعضدنا في هذا الرأي أن المثل الذي ذكره كل من "ابن دريد" و"ابن عصفور" لهذا الصوت هو " كمل" أي " جمل" بالكاف كتابه لقربها من (g). أشار "برجشتراسر" إلى أن هناك أصوات كثيرة التغير وهي نوعان: الحروف الصوتية المحضة وهي: (ل.ر.ن.م) وحروف (اللين والهمز).

فهو يرى أن أحوال الهمز متنوعة، فكثيرا ما يحذف الهمز بالإبدال (واوا) أو (ياءا) وهناك نوع آخر وهو أنه إذا وقع همزتان في أول مقطعين متتاليين خففت الثانية، وهو قسمان ومنه ما يكون مقطعه الأول من الهمزة المتحركة فقط، ومنه ما تركب مقطعة الأول من الهمزة

[1] - نفسه، ص81.

[2] -حسام بهنساوي، علم الأصوات، ص211.

[3] -نفسه، ص213.

المتحركة وحرف ساكن، وأن الهمزة تحذف إذا وقعت هي ساكنة بعد حركة مع مد هذه الحركة.

وأما الهمزة بين حركتين، يعني الهمزة المتحركة، بعد حرف متحرك أو حرف مد, فإنها بعد الكسرة و الضمة أو قبلها, كانت تبدل (بالياء) أو (الواو). وإذا وقعت بين فتحتين, بقيت على حالها في الإملاء العادي.

و مما حذف فيه الهمز في كل اللهجات العربية, لسبب خاص,(لام التعريف) فأصلها فيما ظهر (ال) بهمزة القطع, غير أنهم سلكوا فيها مسلك همزة وصل فأسقطوها في وسط الكلام و ثبتوها في الابتداء فقط.

"تأتي الهمزة المحققة بعد الحركة , في كثير من اللغات السامية على أنها أصل من الأصول الكلمة الثلاثية مثل (رأس و بئر و يأكل), و في البابلية الأشورية, تترك هذه الهمزة دائما, و يعوض عنها بعد الحركة قبلها مثل:néšu، ékul.

وعلى العكس من ذلك بقيت الهمزة المحققة بعد الحركة في العربية القديمة، غير أنها تركت في لهجة مكة".[1]

"تحاول أصوات المد أن تقلل من حدة الانفجار أو هي تلغيه إلغاء تاما, وهو ما يبدو قد حدث في لهجات أهل الحجاز فكان أن أدى وجود الهمزة بين صوتي مد قصيرين بها إلى السقوط. ثم تبع ذلك أن اتحد صوتا المد القصيران المتماثلان فصارا صوت مد طويلا بسيطا واحدا."[2]

"إن الهمزة تضعف ضعفا شديدا تتحول أثره إلى نصف مد, و يتم ذلك إذا تجاورت همزتان متحركتان , و كانت الهمزة الثانية منهما مكسورة و أصلها السكون, فانه تبدل منها

[1] -فقه اللغات السامية، ص41.

[2] - غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، د.ط، دائرة الشئون الثقافية والنشر، العراق، 1984، ص180.

(ياء) خالصة في قراءة من خفف الهمزة نحو (أئمة) أصلها السكون, لان جمع (إمام) على افعل و أصله (أأمة) ثم اعل الإدغام و إلقاء حركة في التلبين".[1]

لو ألقيت حركة الهمزة التي قبلها الألف لانقلبت فصارت همزة, ولو انقلبت لخرج كلام كثير من حد كلامهم و الخارج كان من الحد مثل:(شاء,وأاءة,وفاء), لو خففت هذه الهمزات على جيأل, والخبء, للزم أن يقال:(سأزيد و اناء عدوك).[2]

"الألف لا تغير إذا خففت الهمزة بعدها في كلمة واحدة وفي كلمتين منفصلتين تقول: (اضربا, أباهما, و مساءك)، فلا تلقي حركتهما في الموضعين على الألف كما تلقي حركتهما على الياء و الواو, إذا كانتا لغير مد في الاتصال و الانفصال".[3]

يشير "برجشتراسر" إلى مسالة (الواو والباء) فيقول: "قد ميز قدماء العرب هذين الحرفين من سائر الحروف الهجائية, و خصصوهما بمخرج, وهو الألف عندهم، وسموه بالجوف"، ويرى "برجشتراسر" أن نطق الواو والياء أو بالأحرى أوضاع أعضاء النطق الخاصة بنطقها, مطابق لتلك الخاصة بنطق الضمة والكسرة, مطابقة تامة، فنعد الواو والياء بين الحركات, أو الحروف الصائتة, لا بين الحروف الصامتة, غير أن نثبت فرقا بين الواو و الضمة, وبين الياء والكسرة, من جهة بنية مقطع الكلمة, فان المقطع يتركب من حروف, يؤثر على السمع احدهما أكثر من باقيها. وأشدها تأثيرا نسميه بمركز المقطع, وما عداه من الحروف هو طرفا المقطع، ومركز المقطع يكون في أكثر الحالات حركة, أي حرفا صائتا بيد انه قد يكون أحيانا حرفا صوتيا محضا من الحروف الصامتة, أو حرفا من حروف الصفير أو غيرها, فالواو والياء إذا كانت مركزا للمقطع نسميها ضمة أو كسرة وبالعكس إذا كانت الضمة أو الكسرة طرفا للمقطع نسميها، واو أو ياء, فالواو في نفسها عين الضمة, والياء في نفسها عين الكسرة".

---

[1] - نفسه، ص279.

[2] - أبي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي،التعليقة على كتاب سيبويه، ج4، تحقيق وتعليق عوض بن احمد القوزي، ط1، مكتبة الإسكندرية، 1415هـ/1994م، ص46.

[3] - نفسه، ص48.

"الواو والياء يسهل اتحادهما بالحركات, إلى حركة واحدة ممدودة فالاتحاد نوعان: **النوع الأول**: اتحاد (الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة لها), و **النوع الثاني**: هو اتحاد الحركة السابقة (للواو أو الياء, بالحركة التالية لها مع حذف الواو أو الياء نفسها)، ولهما انقلابات منها: أنهما حذفتا إذا وقعتا بعد حرف ساكن, ومنها أنهما إذا كانت (لام) الفعل صارت (ياء) في كثير من أبنية الفعل, وبعض أبنية الاسم، وقلبت (الواو) (ياء) أيضا في كل الحالات التي وقعت فيها ساكنة قبل ياء أو متحركة بعد كسرة.

ذهب "ابن جني" إلى أن أصوات الألف والواو والياء، أصوات توابع للحركات و منشئة عنها, وإن الحركات أوائل لها, وأجزاء منها, وأن الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة و الواو ضمة مشبعة, يؤكد ذلك عندك أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب من لفظ البيت فتشبع الفتحة فيتولد من بعدها الألف, و تشبع الكسرة فتتولد من بعدها ياء وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واوا".[1]

قلبت الألف (الواو) (ياء) في"رياض" و"جبال" و نحوه لشبهها بالياء وإن كانت ساكنة، كما قلبت (الياء) من "يوحل" (الواو) التي هي (ياء), وإن كانت ساكنة على القلب في "رياض و جبال" أجود منه في "ييجل" بمكان الكسرة".[2]

قال "سيبويه": "فلما كان ذلك من كلامهم ألزموا البدل ما قلب في الواحد أي ألزموا بدل الياء من الواو في جميع ما أبدلت الياء من الواو في الواحدة"[3].

"الواو في "حوائك" إذا كان جمع "حياكه" هي عين الفعل من "فعائل" و الهمزة مبدلة من ألف "فعالة" و في "حوائك" إذا كان جمع "حياكة" هي (الواو) التي تبدل من (ألف) فاعل في مثل "ضوارب" و الهمزة فيها بدل من الواو التي هي عين الفعل".[4]

---

[1] - في الأصوات اللغوية، ص88.

[2] - أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق عوض بن حمد القوزي، التعليق على كتاب سيبويه، ج5، ط1، 1416هـ/1996م،ص45.

[3] - نفسه، ص46

[4] - نفسه، ص47.

"قلبت (الواو) في "صوم" (ياءا) لقربها من الطرف وانضمام ما قبلها, كما أن عُصَيٌ و عُتَيٌ" قلبت (الواوان) فيه (ياءين)، لذلك فـ"صَيّم" وإن لم يكن المعتل منه (اللام) فهو مشبه بالمعتل اللام, الدليل على ذلك كسر (الفاء) منه ككسرها في "عِصِيٌ", وأنها إذا بعدت من الطرف بحرف آخر غير اللام لم تعل فمن قال: "صُيَّمٌ" لم يقل إلا "صُوَامٌ" و لم يقلب الواو فيه ياء".[1]

قال "سيبويه": "فإنما أرادوا أن تحول إذا كانت ثانية من علة أي, تحول الياء إذا كانت ثانية نحو الطوبي. وقوله: "من علة, أي من أجل الضمة التي قبلها, وقوله: " فكان ذلك" أي: قلب (الياء) (واوا) في "الطوبي" , و"تقوى", و "شروى".

"وفي العربية القديمة تقلب (الواو) (ياء) بتأثير ما قبلها من كسرة أو (ياء) مثل: رَضِوَ>رَضِيَ, أيَوَام>أيّام، وعلى العكس من ذلك, يندر أن تنقلب الضمة كسرة, بسبب (الياء) التالية مثل: عُيُون>عِيُون، وقد تحول الصوت المركب (YA) في معظم اللهجات العربية الحديثة إلى(YI) وغالبا ما يتحول ابعد من ذلك إلى (ا) لا غير".[2]

يشير "برجشتراسر" إلى أن "الزمخشري" وهو من أشهر علماء النحو قد أورد في القسم الرابع من كتاب" المفصل" لما سماه المشترك و هو ما يشترك فيه سائر أجزاء الكلام من الأسماء و الأفعال و الحروف أي الأدوات و هو يقرب مما نسميه نحن, بحث الأصوات.

و من أبوابه مما يخص الحروف الصامتة, باب في تخفيف الهمز, و باب في الإدغام, و باب في الاعتلال، أي في (الواو و الياء) و بابان في زيادة الحروف و في إبدال الحروف.

"يشير "برجشتراسر" إلى الحركات "الحروف الصائتة" ويرى أن منها المقصورة ومنها الممدودة، وإن الحركات الممدودة يشار إليها بحروف المد.

و لهذا السبب يرمز للحركة المقصورة و الممدودة بإشارة واحدة نحو:(a) للفتحة و لا نفرق بين الممدود منها أو المقصور إلا بخط أفقي فوقها نحو(à) .

---

[1] - نفسه، ص49.

[2] - فقه اللغات السامية، ص66.

يعرف "دانيال جونز" الحركات بأنها : "أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق لها على شكل مستمر من البلعوم والفم, دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية, تدخلا يمنع خروجه, أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا".[1]

وان علماء العربية القدامى لم يعنوا بالحركات العناية اللائقة بها فقد عدوا الحركات أشياء عارضة, تعرض للأصوات الصامتة فهي تبع لها, و ليست مستقلة مثلها فأصول الكلمات عندهم مكونة من الأصوات الصامتة وهذه الأصوات هي الأساس أما الحركات فهي أصوات من شأنها أن تعدل الصيغة أو الوزن فقط".[2]

أصوات العلة أصوات مجهورة كلها بمعنى أن الأوتار الصوتية تهتز عند حدوث أي صوت منها, وإن كان الدكتور "أيوب", يزعم أن هناك حركات مهموسة, فيقول: " اشترط "جونز" في تعريف الحركة أن تكون مجهورة وسبب هذا الشرط, أن الحركة صوت لا تتدخل عند النطق به أعضاء النطق العليا على الإطلاق أو تتدخل تدخلا لا يحدث احتكاكا مسموعا, و على ذلك فلولا الجهر الذي هو تدخل الأوتار الصوتية لمر الهواء من الرئتين إلى الخارج, دون تدخل يذكر, تماما كما يحدث عند الزفير".[3]

يشير "برجشتراسر" إلى عدد الحركات بأنها في العربية ثلاثة الفتحة أي (a) و الكسرة أي (i) و الضمة(u)، والحركات الممدودة الموجودة في اللغة العربية توافق الحركات الموجودة في اللغة السامية الأم, غير أن اللغة كان لها حركة ممدودة رابعة هي (é)، وهذه الحركة صارت (à) في العربية الفصيحة، أما المقصورة فهي حركتان لا ثلاث و هذا يوجد في سائر اللغات السامية، غير أن الحبشية فيها حركتان مقصورتان فقط, هما الفتحة المقابلة للفتحة العربية و الـ(e) المقابلة الكسرة الضمة.

"تختلف الحركات في عددها من لغة إلى أخرى اختلافا كبيرا, و تستطيع أن تتأكد من ذلك حين تحاول المقارنة بين حركات اللغة العربية مثلا مع حركات اللغة الانجليزية, و سوف

[1] - حسام بهنساوي،علم الأصوات، ص 112.

[2] - حسام بهنساوي،علم الأصوات، ص121.

[3] - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص92.

يتبين لك حينئذ أن الحركات الأساسية في اللغة العربية ثلاث أو ست إذا أخذت القصر والطول في الحسبان".[1]

يقول "ابن جني" : "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد و اللين وهي، الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة, فكذلك الحركات ثلاث, وهي الفتحة و الكسرة و الضمة, فالفتحة بعض الألف , والكسرة بعض الياء, والضمة بعض الواو وقد كان النحويون يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك عن طريق مستقيمة". "ولكن هذه الحركات قد ترد مفخمة تارة و مرققة تارة اخرى وبين التفخيم و الترقيق تارة ثانية".[2]

كما أن اللغة العبرية لازالت تستخدم الحروف اللينة ضمن نظام حركاتها الطويلة حتى الآن, كما أنها تستخدمها في الكتابة العبرية الحديثة غير المشكلة لتسهيل قراءتها".[3]

يقول "برجشتراسر": "أن الكسرة والضمة كانت حرفين انتقاليين, فهما حركتان ناقصتان غير معينتين ليس بينهما فرق معلوم ثابت, بل صوتها تابع للحروف الصامتة السابقة و التالية لهما في الكلمة, وهناك من يقول انه توجد حركة متوسطة بين الكسرة فيها ذكره النحويون من إشمام الكسرة بالضمة, أو بالعكس وهو يرى انه في بعض اللهجات العربية الدراجة مثل: لهجة الشام أن الكسرة والضمة كثيرا ما تلفظان بغير مخرج قائم ثابت, بل في أثناء انتقال أعضاء النطق من مخرج الحرف السابق لهما إلى مخرج الحرف التالي, فهما لا كسرة ولا ضمة ولا (u), بل أنواع من الصوت مضطربة مبهمة تؤثر على كيفيتها الحروف المجاورة لها و بناء الكلمة, ويتضح من هنا أن عدد الحركات المتخالفة معنى ووظيفة، لا نطقا فإنا نرى أن الحركة الناقصة الانتقالية كانت تقارب الضمة في بعض الحالات والكسرة في بعضها.

---

[1] - كمال بشر، علم الأصوات، د.ط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص222.

[2] - حسام بهنساوي، علم الأصوات، ص122.

[3] - سيد فرح راشد، اللغة العبرية ، قواعد ونصوص، د.ط، دار المريخ للنشر المملكة العربية السعودية، 1413هـ/1993م، ص33.

يطلق علماء الأصوات على صوت الفتحة اسم "صوت العلة المتسع" كما يطلقون على صوتي الضمة و الكسرة اسم"أصوات العلة الضيقة" و هذا التقسيم له أهميته فيما يصيب هذه الأصوات كلها من تطور أو تغيير إذ انه من الملاحظ أن ما يصيب الضمة يجري مثله في الغالب على صوت الكسرة , لان كلا من أصوات العلة الضيقة وعلى ذلك ليست الضمة عدوة للكسرة, كما يتردد في بعض كتب العربية بل, هما من فصيلة واحدة, وذلك على العكس من صوت الفتحة, الذي يعد قسيما للضمة والكسرة, له ظواهره وأحكامه الخاصة".[1]

قد فطن إلى تلك العلاقة بعض علماء العربية, وأدركوا أن هناك علاقة بين الكسرة و الضمة وبين ياء المد وواوه كذلك، وفي هذا يقول "ابن درستوية": "كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية, فعلت بفتح العين, ولم يكن ثانيةً ولا ثالثةً من حروف اللين ولا حروف الحلق, فانه يجوز في مستقبله "يَفعُلُ" بضم العين, و" يَفعِلُ" بكسرها كقولنا, (ضَرَبَ/ يَضرِبُ), (شَكَرَ/ يَشكُرُ) وليس احدهما أولى من الآخر, ولا عند العرب إلا الاستحسان".[2]

يرى برجشتراسر أن الإمالة نوعان: الأول، هو تنوع نطق الفتحة الممدودة تشبها لها بالحروف المجاورة لها, و بسائر حركات الكلمة, والجنس الثاني وهو أهم الجنسين فهو إمالة مالا داعي لإمالته في الحروف المجاورة للفتحة الممالة, و لا في سائر حركات الكلمة.

نلاحظ أن اللهجات ما كانت تنطق بالإمالة في كل الأحوال بل في حالات سياقية معينة, فإمالة الفتحة إلى الكسرة مثلا جاءت كلها في كلمات تشتمل على صوت الراء المكسور مما يعني أن لذلك الأمر صلة بالإمالة, و قد قسم اللغويون العرب ذلك بان صوت الراء المكسور يبدو كأنه:"حرفان مكسوران,لان الراء حرف تكرير فإذا انطلقت به خرج كأنه متضاعف فإذا كان مفتوحا أو مضموما منعت إمالة الحرف"[3].

---

[1] - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص94.

[2] - حسام بهنساوي، علم الأصوات، ص126.

[3] - في الأصوات اللغوية، ص164.

وقد تكون الإمالة في بعض اللهجات في " كل شيء من بنات الياء و الواو كانت عينه مفتوحة" و يعلل سيبويه هذا في انه ما كان من بنات الواو فإما لوها لغلبة الياء على هذه اللام".[1]

كما يذكر الأستاذ "بروكلمان": " أن جنوح الألف و الفتحة في الأشورية إلى الإمالة بتأثير أصوات المد المجاورة, إنما كان بتأثير النبر في ذلك الموضع"[2].

ويذكر "ابن جني": "انه لا يجوز أن تمال الكسرة أو الضمة نحو الفتحة لأن الفتحة أول الحركات وادخلها في الحلق, والكسرة بعدها والضمة بعد الكسر, فإذا بدئ بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو, فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق فكان في ذلك انتقاص عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه"[3]

وانتشرت الإمالة في اللهجات العربية القديمة و قوتها ولقد ذهب "ابن يعيش" إلى أن الإمالة أكثر كلام العرب، وهو أمر يكاد يكون دقيقا في التعبير عن دقيقة خريطة الإمالة, إذ نلاحظ أن هذه الإمالة قد وصلت إلى طائفة من الحجازيين فقط ذكر"و منهم ما لم يصل إلا في مواضع قليلة وهو أهل الحجاز".[4]

وأشار "برجشتراسر" إلى تغيير الحركات و يعني به تغيرات الحروف الصائتة وهي في الممدودة التقصير, وفي المقصورة الإبدال والحذف والزيادة، فلا يوجد في العربية إبدال للحركات الممدودة إلا نادرا، ولا يوجد مد للحركات المقصورة إلا نادرا أيضا.

والإبدال هو انقلاب مخرج الحركة وهو نوعان, أهم أنواعه: **التشابه** وهو جنسان: تشابه الحركة لحركة أخرى، أو تشابههما لحرف صامت.

---

[1] - نفسه، ص165.

[2] - نفسه، ص166.

[3] - في الأصوات اللغوية، ص311.

[4] - نفسه، ص166

يظهر دائما في ماضي الوزن الأصلي, المتصل بالضمائر, حركة الضمة(u) إذا كان الفعل معتل العين بالواو, وهو ما لا يجوز في الحقيقة إلا في الأفعال المضمومة العين فقط مثل:" tulta < tawula " ، كما تظهر حركة الكسرة (i) دائما إذا كان معتل العين بالياء، وهو لا يجوز كذلك إلا في الأفعال المكسورة العين لا غير، غير أن الأفعال المعتلة بالواو وهي مكسورة العين، لا تزال تحتفظ بالكسرة، وفي المبني للمجهول من الوزن الأصلي تتحول :ū<i+u ولكنها تكتب (ī)وتنطق غالبا هكذا أيضا".[1]

وفي وزن السببية ، يجري هنا كذلك تغير حركة المقطع الأول في الماضي والمضارع (hi) في صورة (hé) و (ya) في صورة (ya)، وبذلك يتفق الماضي هذا مثل : hékim مع ماضي الفعل المعتل بالياء في فائه hékim مثل: hékis".[2]

لم تحتفظ أي لغة من اللغات السامية، بالتصريف الأصلي كاملا وهكذا يسقط كل من (الواو) و(الياء) إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين، أو بين حركة قصيرة وأخرى طويلة فيما عدا:(-à a)، ونتجت من ذلك التغييرات الآتية:a -a >à، aw<û-a، ay< î-a، à<u-a، û<u-u، î<u-i، û<û-u، û<u-î، T<i-u، T<T-i "[3]

أشار "برجشراسر" إلى تقصير الحركات منه تقصير الحركة المتركبة، وأكثر أنواع تقصير الحركات الممدودة اتفاقية منه تقصيرها في أواخر الكلمات فانا نرى الحركة الممدودة النهائية في بعضها قد تحافظ على الامتداد والأرجح أن كل الحركات الممدودة اللانهائية كانت تقصر في اللغة السامية الأم في بعض المواضع ،وقد يوجد في اللغة العربية اثر من تبادل مد الحركات اللانهائية وقصرها.

في اللغات السامية كافة أمثلة وافرة على تقصير الصوائت وتطويلها ولمعظمها قواعد صوتية تمليها على نحو قياسي،من هذه القواعد في آرامية العهد القديم مثلا: أن الصائت القصير الواقع في مقطع مفتوح غير منبور يقصر إلى (a) نحو sanà أي (شنأ، كره)، بإزاء

[1] - فقه اللغات السامية، ص144.

[2] - نفسه، ص145.

[3] - فقه اللغات السامية، ص149.

Śané العبرية و Šanda العربية ،وkà⍰a⍰ بإزاء العبرية kàṯab و katab العربية، ومنها أيضا في عبرية العهد القديم أن الصائت الطويل كثيرا ما يقصّر إلى (a) أي الكلمات المنتهية بـــ (im)، أي الكلمات المجموعة جمعا مذكرا والمنتهية بـÒṯ⍰، أي المجموعة جمعا مؤنثا.[1]

في صيغ الجزم الخالية من النهايات، تقصر الحركة المتطرفة كما في العربية ثم تسقط فيما بعد في العبرية، مثل: yiŠeb<yiŠbé".[2]

وفي العربية يفسر تقصير الصوائت كثيرا من ظواهرها الصوتية فبعضها يسهل رده إلى تقصير الصائت وبعضها يحتاج إلى مزيد من التأمل والتدبر ومن أمثلة التقصير مثلا: في صيغة المضارع المجزوم من الفعل الأجوف ، وصيغة "عُدْ" و"مِلْ" أصلها المفترض "عُودْ" و"مِيلْ" انطلاقا من العلاقة بين الصيغة الأمر وصيغة المضارع، فقد كان تسكين آخرها سببا في تقصير الصائت الطويل، ونجد التقصير أيضا في صيغة المضارع المجزوم من الفعل المعتل الآخر نحو، " لم يَدْنُ" تقصير الصائت الطويل في " يَدْنُو"، فالصائت الطويل في الصيغة المرفوعة لم يحذف بل قصر الى نظيره، وكذالك في صيغة " اِفْعَلَّ " الدالة على اللون تقصير للصائت الطويل قياسا على صيغة "اِفْعَال"، وفي صيغة "فَعَلَتْ" و"فَعَلُوا" من الفعل المعتل الآخر نحو "رَمَتْ" و"رَمُوا" تقصير للصائت الطويل، وفي صيغة "فَعَلْتُ" و"فَعَلْتُهَا"....الخ، من الفعل الأجوف تقصير للصائت وقد تتجاوز قاعدة تقصير الصائت الطويل حدود الكلمة فتعمل بين كلمتين متلاحقتين".[3]

أشار "برجتشراسر" إلى مبحث الحركات والرسم الإملائي ففي رسم القران كثيرا ما تحذف الياء، الدالة على الكسرة الممدودة في أواخر الكلمات ضميرا كانت أو غيرها.

أما ما يخص حذف الحركات وهو قليل في اللغة العربية، فمنه حذف الحركة الأصلية وحذف الحركة الثانية، وقد تحذف حركة بين متماثلين أو متشابهين، فيدغمان وهذا ما يسمى: "بالإدغام الكبير"، وقد يحذف مع الحركة همزة قبلها.

[1] - فقه العربية المقارن، ص86.

[2] - فقه اللّغات السامية، ص150.

[3] - فقه العربية المقارن، ص86-87-88.

قد تحذف الهمزة مع الصائت الذي نحو:"هو يجيك" و"هو ينسوك" أي: "يجيئك ويسوءُك"، أما تسهيل الهمزة في نحو"راس" و"مومن" فهو في حقيقته حذف مصحوب بالإطالة التعويضية، وله نظائر كثيرة في الساميات منها أن كلمة "راس" بتسهيل الهمزة في العربية يقابلها néšu في الاكدية، وnôš في العبرية وniša في السريانية، ومن أمثلة حذف الصائت وحده اسم الإشارة "تلك" في العربية وأصله من "تي" و"ل" و"ك"، (قارن ذلك بكسر اللام فأسقطت كسرة اللام فأدى ذلك إلى تقصير المد الطويل بعد التاء".[1]

ومن أمثلة الإسقاط الوسطي المطرد في العربية إسقاط الهمزة، والصائت الذي يليها من صيغتي "يَفْعِلُ" و"يُفْعَلُ" والأصل "يُؤَفْعِلُ" و"يُؤَفْعَلُ"، ومن أمثلته أيضا حذف فتحة الفعل الماضي عند اتصاله بالضمير المتحرك أي بناؤه على السكون في عبارة النحويين مثلا: "ذَهَبْتُ" والأصل فيه "ذَهَبَتُ" فحذفت الفتحة منها لتوالي الأمثال".[2]

ومن أمثلة الإفراد الصوتي نذكر: "تَفَعْلُ" بدلا من "تَتَفَعْلُ" و"تَفَاعَلَ" بدلا من "تَتَفَاعَلُ"، "اسْطَاعَ" بدلا من "اسْتَطَاعَ"، و"يَسْطِيع" بدلا من "يَسْتَطِيعُ"، "إنّي" و" لكنّي" بدلا من "إنَّنِي" و" لكِنّنِي".

كما يشير" برجتشراسر" إلى نوع آخر من أنواع تغيرات الحروف الصائتة، وهو الزيادة وهو نادرا في العربية منه أن أكثر الأسماء التي وزنها: "فُعْل" قد تكون على "فُعُلْ"، ومنها أيضا زيادة حركة بعد حرفين ساكنين في آخر الكلمة، وزيادة حركة بعد حرف ساكن في آخر الكلمة، إذا اتبعته همزة وصل.

الإقحام البدئي في اللغات السامية محاولة للتخلص من صامتين اثنين واقعين في مطلع الكلمة بزيادة همزة متبوعة بصائت، يستدل على ذلك أحيانا بالمقارنة بين الساميات، من ذلك أن كلمة "إصبع" العربية ومثلها مقابلها في الحبشية àsbà'et، وفي العبرية ésbà فيها إقحام بدئي تخلصا من البدء بالساكن، أي من تعاقب صامتين، وقد احتفظت السريانية بالصيغة

[1] - نفسه ص113.

[2] -نفسه، ص114.

التي لم تقحم فيها الهمزة، وهي فيها seb’à، كما احتفظ بها بعض اللهجات العربية المعاصرة كالمصرية".[1]

إن العربية اقل من أخواتها استخداما للإقحام الوسطي الصائتي وذلك مرده في المقام الأول إلى أن احتفاظ العربية بعلامات الإعراب منع التقاء ساكنين في آخر كلماتها، خلافا ما حصل في العبرية و السريانية مثلا:إلا أننا نجد في العربية مواضع فيها إقحام للصائت في وسط الكلمة أو آخرها، فمن هذه المواضع الوقف، الضرورة الشعرية، والألفاظ المعربة التي فيها التقاء ساكنين فيتخلص منه".[2]

ويشير "برجشتراسر" إلى ظاهرة الترخيم وهو اختصار الكلمة وحذف أكثر من حركة واحدة منها، فقد ذكر النحويون كثيرا منه وخصوصا في النداء ومنه ما هو جنس من التخالف، وهو حذف مقطعين متتالين أولهما حرفان مثلان أو شبيهان وهناك نوع آخر منه هو اختصار كلمة "سوف" قبل المضارع بـ "سَ".

يتجلى الترخيم في اللغات السامية على أوضح صورة في إسقاط حركات الإعراب في كثير من الساميات، وبظاهرة الجزم وفي النصب إلى حد ما أيضا، أي في حذف النون المفتوحة، وفي ظاهرة المنادى المرخم.

ومن أمثلة إسقاط الصائت وحده،علاوة على اطراد ذلك في الوقف،ما يقع في الضرورة الشعرية في الوصل،كقول "أبي نخيلة":

إذا اعْوجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قوِّم *** بالدّوِّ أمْثـــالَ السّفِينِ العَـــوّم.**[3]

أما إسقاط أكثر من صوت واحد من آخر الكلمة فنحو: "يا كَرَا" في نداء "كَرَوَانْ"، ومثله "يا عُثمُ، ويا مَنْصُ، ويا مِسْكُ"، في نداء "عثمان ومنصور ومسكين"، ومن ذلك أيضا: "دَخّ" في "دُخَانْ".[1]

---

[1] - فقه العربية المقارن، ص107.

[2] - نفسه،ص 108-109.

[3] - فقه العربية المقارن، ص114.

كما أثار "برجشتراسر" ظاهرة الضغط والنغمة، فكل لغة لها نغمة فاصلة بها، وذلك أن مقاطع الكلام تختلف في ألحانها الموسيقية، فمنها ما هو عال ومنها ما هو وطئ وبعض اللغات تضيف إلى النغمة الضغط،يعني أنها تفرق بين المقاطع والكلمات بمقدار القوة التي تنطق بها أيضا فبعض المقاطع قوي وبعضها ضعيف ولو نظرنا إلى العربية نفسها،ومن وزن شعرها لم نجد فيها من الضغط أو لم يكد يوجد، ذلك انه كثيرا ما يحدث فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها،ومد الحركات المضغوطة وهذا كله نادر في اللغة العربية، أما اللهجات العربية الدارجة فان الضغط في بعضها قوي وفي بعضها متوسط،غير أنها تتخالف في موضعه من الكلمة في كثير من الحالات.

أما النغمة فإن "برجشتراسر" أشار إلى انه لا يعلم في خصوصها شيئا قال "ابن جني": "وحكي القراء عنهم، أكلف لحمًا شاةٍ، أراد لحمَ شاة ،فمطل الفتحة ،فأنشأ عنها ألفا".

فالمطل عند "ابن الجني"، في ما أورد،هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف إذا ما علمنا أن الألف ضعف الفتحة، والياء ضعف الكسرة، والواو ضعف الضمة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع، لتحقيق غرض قصدي".[2]

هناك لغات كثيرة تعتمد على النبر في اختلاف المعاني والدلالات، فالكلمة المفردة الواحدة لها أكثر من مدلول داخل سياقها من الجملة، وهذا التعدد إنما يأتي من تأثير نبر مقطع معين دون مقطع آخر، ومن أمثلة ذلك في اللغة الانجليزية مثلا: كلمة import ، فإذا ركز في نطقها الانجليزية على المقطع الأول، تكون الكلمة حينئذ اسما في حين إذا ركز نبره على المقطع الثاني تكون الكلمة فعلا iimport الكلمة حينئذ اسم impòrt الكلمة حينئذ فعل، ولعل من أهم اللغات التي تستخدم النبر في تغير مدلولات الكلمات هي اللغة الصينية.[3]

---

[1] - نفسه، ص115.

[2] - الأصوات اللغوية، ص241.

[3] - حسام بهنساوي، علم الأصوات، ص، 155.

يقول "بروكلمان": " انه في اللغات العربية القديمة يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية ويتوقف على كمية المقطع، فانه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فان النبر يقع على المقطع الأول منها".[1]

أما التنغيم فلم يعالجه احد من القدماء ولم يعرفوا عنه، غير أننا لا نعدم عند بعضهم، الإشارة إلى بعض أثاره في الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة، وكان "ابن جني" أحد الذين التفتوا إلى ذلك".[2]

2- *المباحث الصرفية:*

يشير برجشتراسر إلى الضمائر وما جانسها فمنها المتصلة ومنها المنفصلة وهو يقسمها إلى ثلاثة أنواع: الأول يحتوي على ضمائر المتكلم والمخاطب المنفصلة وعلى المتصلة المرفوعة والثاني عليها منصوبة ومجرورة والثالث على ضمائر الغائب.

إن الحرف الزائد، هو في المتكلم المجموع، وفي المخاطب عين الحرف الموجود في الضمير المتصل في الماضي يعني (النون) في المتكلم المجموع، و(التاء) في المخاطب، وفي المتكلم المفرد يتحالف الضميران المتصلان، احدها الهمزة، والآخر التاء المضمومة، وفي بعض اللغات السامية نرى ضمير المتكلم المفرد المنفصل يجمع بين الضميرين المتصلين والفرق بينهما: إن الضمة في الأكادية، موافقة للعربية، والكسرة في العبرية.

كما يشاهد "برجشتراسر" أن هناك تخالف بين الضميرين الأكادي والعبري، وبين الضمير العربي هو أن حرف الضمير في هاتين اللغتين هو (الكاف) في العربية (التاء)، ذلك أن (الكاف) سالمة على حالها في بعض اللغات السامية.

يظهر أن ضمير المتكلم في السامية الأم له صفتان واحدة منها في آخرها كاف ملحوقة بصائت، والأخرى اقصر منها وهي خلو من الكاف وصائتها، وفيما يتعلق بالصيغة الأقصر،

---

[1] - فقه اللغات السامية، ص45.

[2] - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص106.

يشعرنا اتفاق العربية، والآرامية، والحبشية في الصائت (à) أو(a) بعد (النون) بوجود هذا الصائت في السامية الأم".[1]

أما المتكلم المجموع فيقول "برجشتراسر" :" أننا نجده مبنيا على غير صيغة الضمائر المنفصلة الباقية تماما وحركة أول نونية، كانت في الأصل كسرة لا فتحة، وإبدال الكسرة بالفتحة فيها، لتشابه الحركة للحرف الخلفي، والمتكلم المجموع أي "نحن" يختلف عن مفرده "أنا" اختلافا تاما، وليس بينهما شيء من العلاقة التي تعودنا أن نجدها بين الجمع والمفرد، واشتق كثير من اللغات السامية ضميري المتكلم المفرد والمجموع من مادتين مختلفتين:

إن ضمير المتكلمين في سائر اللغات السامية ما هو إلا تخفيف الأصل المفترض، وعلى هذا تكون الهمزة والصائت الذي يليها أصلين في صيغة المتكلمين، ويتضح أن ضمير المتكلم هو المؤثر في ضمير المتكلمين بملاحظة تشابه الصائت الذي يلي الهمزة".[2]

وفي الحاشية قد تكون المقايسة التفسير الصحيح لوجود الفتحة في آخر صيغة ضمير المتكلمين في معظم اللهجات العربية المعاصرة".[3]

والمخاطب يقول فيه "برجشتراسر" :" أن جمعية مشتق من مفرده، بزيادة (ميم) في المذكر و(نون) مشددة مفتوحة في المؤنث و(الميم) مجزومة على العادة، لكنها كانت في الأصل مضمومة، وأما حركة (التاء) في المخاطب المجموع فهي ضمة في المذكر منه والمؤنث وكانت في الأصل كسرة في المؤنث .

إن اتحاد صيغة المؤنث والمذكر في ضمير المخاطب في كثير من اللهجات العربية الحية، فأما عندنا عن المقايسة التامة، أي تلك التي يكون فيها تغير العنصر المتأثر بغيره تاما فتتحد الصيغة الجديدة بالصيغة المؤثرة فيها، وأما اتحاد صيغة المؤنث والمذكر في السريانية فقد يكون أيضا وليد المقايسة، إلا أن هناك تفسيرا مختلفا لهذه الظاهرة وهو أن الصائت

---

[1] - فقه العربية المقارن، ص197.

[2] - نفسه، ص204.

[3] - نفسه، ص204.

الأخير في السامية الأم، أي (a) في صيغة المذكر، و(i) في صيغة المؤنث، سقط بحكم القواعد الصوتية للغة فصار لفظ الصيغتين واحدا وإن بقيت التفرقة في كتابتهما".[1]

وقرر "ابن القيم" مثلا أن : "الأصل في التاء المخاطب، وإنما المتكلم دخيل عليه ولما كان دخيلا عليه خصوه بالضم لأن فيه من الجمع والإشارة إلى نفسه ما ليس في الفتحة، وخصوا المخاطب بالفتح لأن في الفتحة من الإشارة إليه ما ليس في الضمة وهذا معلوم في الحس".[2]

أما المخاطب المثنى، وهو مشتق من المجموع بإلحاق فتحة ممدودة وهي علامة التثنية فيها (à)، لا (ay)، والعرب كانوا يستحبون التثنية أكثر من سائر الساميين ويستعملونها استعمالا أوسع منهم.

أما النوع الثاني من الضمائر، وهي المتصلة المجرورة والمنصوبة لا فرق بين القسمين إلا في المتكلم المفرد، فالجر فيه (T) أو (ya) والنصب (nT) ونادرا: (ني) فمادتها غير مادة النوع الأول إلا في المتكلم المجموع وعلامات الجمع والتثنية في هذه مثلما في تلك.

إن ترجح صيغة هذا الضمير بين (T) و (ya) يحتمل ثلاث تفسيرات مختلفة لكل منها ما يسوغه:

1- أن اللاحقة (i) هي الضمير السامي الأصلي أضيفت إليه (a)، فأصبح (ya)، بدلا من (ia) التي يصعب لفظها.
2- أن اللاحقة (ya) هي الضمير الأصلي، وقد سقط صائتها لوقوعه متطرفا فحتم تحول الصامت (y) إلى صائت طويل يناسبه، أي الـ (Ĺ).

[1] - فقه العربية المقارن، ص198.

[2] - طاهر سليمان حمودة، ابن القيم الجوزية جهوده في الدرس اللغوي،د.ط، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1976، ص119.

3- أن كلا من (Ĺ) و (ya) أصيل في السامية الأم، ويقوي هذا احتفاظ أكثر من لغة سامية واحدة بكلتا اللاحقتين، الأمر الذي يضعف التفسيرين السابقين.[1]

ويقول "برجشتراسر" أن ضمائر الغائب التي هي النوع الثالث من الضمائر موضعها بين الضمائر وبين أسماء الإشارة، وتشارك الضمائر في الانقسام منفصلة ومتصلة وتشارك أسماء الإشارة في أنه يكنى بها عن الأسماء، وضمائر المتكلم والمخاطب تفيد معاني خاصة بها مستقلة، لا يكنى بها عن شيء آخر من الأسماء، إن ضمائر الغائب نوع بنفسه بين الضمائر وبين أسماء الإشارة.

وإذا اطلعنا على الحرفين الزائدين، الخاصين بالغائب في المضارع لاحظنا أحدهما هو (التاء) لا علاقة له مع سائر ضمائر الغائب، وربما كانت (التاء) علامة للتأنيث وأما (الياء) فيمكن أن تكون ضميرا في الحقيقة.

وأما المنفصلة والمتصلة المجرورة أو المنصوبة ممن ضمائر الغائب فكلها يبدأ بالهاء فنجد في اللغة المهرية ضمائر الغائب فيها مثلا (he) (هو) ، (si) (هي) ، (hem) (هم)، (sen) (هن)، فحرف المذكر هو (الهاء)، كما هي في العربية وحرف المؤنث هو (السين) المقابلة (للشين) في اللغات السامية الشمالية.

يبدو أن الضمة هي الصائت المختص بالمذكر وأن الفتحة هي الصائت المختص بالمؤنث أما الصائت قبله فنرجح أنه (الهاء) في المذكر وحرف الصفير في المؤنث بدليل المهرية (h للمذكر وذ للمؤنث)، وهذا مثل ما في صيغ الضمائر المنفصلة في الغائب والغائبة والغائبين والغائبات، وعلى ذلك نرجح أن تكون (his)، (Šà) الصيغتين الأصليتين في السامية الأم، وقد عملت المقايسة فيهما فحل حرف الصفير محل الهاء في المذكر في الأكدية والمعينية والقتبانية وحلت (الهاء) محل حرف الصفير في المؤنث في سائر اللغات واللهجات.[2]

---

[1] - فقه العربية المقارن، ص210.

[2] - نفسه، ص216.

ومن ذلك أيضا اللغة المعينية التي وجدوا فيها علامة (السين) كضمير متصل للغائب حين لم يلاحظ الدارسون وجودا لهذا الضمير، إلا في هذه اللغة والبابلية والحبشية، حتى أن البعض يزعم بأن هذه (السين) كضمير متصل لصيغة الغائب " ربما كانت دخيلة في الأصل السامي من اللغة الطورانية".[1]

إن ضمير الغائب وإن كان أصله ووظيفته، غير أصل ضميري المتكلم والمخاطب ووظيفتهما، فقد علق بهما في نفس اللغة السامية الأم.

عند إسناد الماضي إلى الغائبة المؤنثة، يفتح آخره وتلحق به (تاء) ساكنة فتصير نهايته (at) وهذه النهاية موجودة في العربية مثل: قتلت وفي الحبشية katalat وتلحق بصيغ اللغة الأخيرة أحيانا (ياء) وهي ليست (ياء) أثرية كانت تنطق يوما ما، وإنما هي علامة بصرية وضعت في وقت متأخر قياسا على حالة المخاطبة".[2]

أما اللغة العبرية، فقد تحولت فيها (تاء) الغائبة (هاء)، كما تحولت (تاء) التأنيث في الاسم (هاء)، ثم صاغت هذه (الهاء) في النطق وأطيلت الفتحة السابقة عليها تعويضا فهذه (الهاء) أثرية كتبت حين كان العبريون ينطقون (تاء) الغائبة (هاء)[3].

وكما أشار "برجشتراسر" إلى أنه هناك فرق بين بنية ضمائر المتكلم والمخاطب وبين ضمائر الغائب أولهما: أن المنفصلة من هذا ليست بمركبة من المتصلة ومقطع "أن" والثاني انه لا يوجد في الغائب ضمائر متصلة مرفوعة خاصة بالماضي.

يرى "برجشتراسر" أن أسماء الإشارة كانت في اللهجات العربية القديمة تتخالف تخالفا بينا، واقتصر أسماء الإشارة مضيفا إليهما اسم الموصول " ذو" بمعنى صاحب فإنه قريب من أسماء الإشارة.

---

[1] - عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة،د.ط،دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2003، ص52.

[2] - رمضان عبد التواب،مدخل إلى علم اللغة، ص270.

[3] - نفسه، ص270.

العدد والجنس	القريب	البعيد	ذو واشتقاقاتها	الموصول
المفرد المذكر	هذا	ذلك	ذو، ذي، ذا	الذي
المفرد المؤنث	هذه	تلك	ذات	التي
المجموع المذكر	هؤلاء	أولئك	أولو، أولى، ذوو، ذوي	الذين
المجموع المؤنث	هؤلاء	ألئك	أولات، ذوات	اللاتي

ونشاهد في الجدول اضطرابا واختلافا زائدا، والذي هو أقرب إلى القياس هو "ذوا" فنراها تعرب مثل، الأب وتؤنث على وزن: اللات والشاة ويوجد بين أشكال اسم الموصول أيضا ما هو قياس سائر الأسماء وهو الجمع فنرى المذكر والمؤنث منه يتخالفان، كما هي الحالة في الأسماء ولا فرق بينهما في هؤلاء وأولئك وأخذت علامة الجمع المذكر من الجمع الصحيح واللاتي اشتقت من التي.

في كثير من الساميات أدوات متقاربة تقاربا شديدا بعضها إشاري وبعضها موصولي، الأمر الذي يوحي بأصول مشتركة بينهما من ذلك في الحبشية Za وélla الموصول بإزاء Za وéllu للإشارة، وفي العبرية تقع Zé للإشارة غالبا إلا أنها قد تكون موصولية، ولا سيما في الشعر، كما أن Zû من الأدوات الموصولة (ويقابلها في العربية "ذو" الطائية) والتقارب بين النوعين قائم في سائر اللغات الشمالية الغربية كالفينيقية والآمرامية والأوجاريتية أما في الأكدية فإننا نجد أن العنصر الموصولي الأساسي هو (Š)، فمنه (Šu) للمذكر المفرد، و(Šàt) للمؤنث المفرد و(ûŠ)t لجماعة الذكور...الخ.[1]

وهذا مما يقوي العلاقة بين أسماء الإشارة والأسماء الموصولة في الساميات أن أداة التعرف في العربية تحتفظ في بعض المواضع بوظيفة إشارية أو موصولية وان أداة التعريف

[1] - فقه العربية المقارن، ص248.

في العبرية تحتفظ في مواضع محددة بمعنى اسم الإشارة أو اسم الموصول ،وتتصل أداة التعريف بالاسم لا بالفعل.[1]

أما سائر الصيغ التي لم تبن على قياس الأسماء، فان "هذا" يقابلها العبرية hazzè وكلاهما مركب من الهاء والذال ،غير أنّ (hà) في العبرية آلة التعريف، وتلحق باسم الإشارة إذا كان تأكيد الاسم الآخر وان لم تكن تأكيدا سقطت فيتفارقان "هذا" hazzè في المعنى والوظيفة، وان تقارب في البنيية مع أنّ بينهما فرقا للبنية أيضا، هو أن (zè) العبرية، ربما كان أصلها (dT) فلا تقابل إذا العربية مقابلة تامة و"ذي"توجد في العربية أيضا وهي أصل "ذه" في هذه، فهي في العبرية مذكرة وفي العربية مؤنثة.

وفي اللغة العبرية يتضح أن أسماء الإشارة قد روعي في لفظها ،أنها تطابق المشار إليه من حيث التذكير والتأنيث والإفراد والجمع والتنكير وان اسم الإشارة يجئ سابقا للمشار إليه النكرة كما في العربية".[2]

كما توسعت دائرة الاشتراك في الأصول لتشمل "الضمائر عامة بما فيها ما يمكننا أن نسميه" ضمائر الإشارة والموصول".[3]

"كما تستخدم اللغة العبرية ضمائر الغائب المنفصلة عندما تسبقها هاء التعريف للإشارة للبعيد ،وتجيء بعد المشار إليه على النحو التالي، ذلك الولد، تلك الفتاة ، أولئك الأولاد،أولئك الفتيات".[4]

وأما جمع هذا، وهو، هؤلاء، فيقابله فؤي العبرية hà ellé والنسبة بينهما شبيهة بالنسبة بين هذا، وhazzé فاللام في العربية والعبرية جمع الذال في أسماء الإشارة، وفي غيرها من اللغات السامية أيضا، كالآرامية والحبشية وأما ذلك فمركبة من "ذا".

---

[1] -نفسه، ص250.

[2] - اللغة العبرية، قواعد ونصوص، ص82.

[3] - فقه العربية المقارن، ص248.

[4] - اللغة العبرية، ص84.

ومن جهة أخرى، فإن اللحيانيين يشيرون بـ(الذال) المعجمة و(ذه) وذات بينما تكون (ذ) (ذ) قائمة مقام "التي" في لغة طيء وأما ذوات فتقوم عندهم مقام اللاتي في الجمع".

أشار "برجشتراسر" إلى اسم الموصول فأول عناصره "لام التعريف"، وثانيها "لام التأكيد" وثالثها "ذي"، هي هنا مذكرة كما هي في (zé) العبرية، والذي يطابقها في العبرية hallàzé هو "هذا"، لا "الذي".

تحتفظ العربية خلافا لأخواتها الساميات، بنوعين صرفيين اثنين للأسماء الموصولة، أولهما " الذي" ومشتقاته (التي، اللذان، واللتان...الخ)، وثانيهما "ذو" ومشتقاته (ذات، ذوا، ذوو،...الخ)، وهذا الثاني لغة طيء".[1]

ومن أسمائهم الموصولة "من" و"ما" الموجودان في العربية الباقية الى جانب "ذو" الطائية، ويستنتج الدكتور " شوقي ضيف"، وهو يقارن بين اللغات السامية على أن الاسم الموصول (S) وعند الطائيين بهذا الشكل يعني أن الأسماء الموصولة كانت في الأصل أسماء إشارة".[2]

تكاد العربية تنفرد بتثنية الاسم الموصول ونضيف بالى ذلك أنها أخضعت الأسماء الموصولة للإعراب وهي وإن شارك ت بعض أخواتها في هذا ولعل المثل بالأوضح من غير العربية أن الأكدية تعرب اسم الموصول فهو šu رفعا وša نضبط على لهجة من يعربها قالوا: (ذوا، وذوو في الرفع وذوي، وذوي في النصب والجر).[3]

ويشير برجشتراسر إلى أن بعض العناصر الإشارية يستخدم في غير أسماء الإشارة أيضا، منها (الهاء) في "ههنا" ، (الكاف) في "هناك"، وبما كان منها (الذال) في" إذ" وما شاكلها، فالظاهر في العربية أنه يوجد اسم بمعنى الوقت هو "إذا".

---

[1] - فقه العربية المقارن، ص147.

[2] - دراسة لسانية، ص92.

[3] - السابق، ص148.

ومن العناصر الإشارية: (الألف واللام للتعريف، ومما يل على أنها في الأصل لم تكن للتعريف فقط بل كانت أداة للإشارة، أنها حافظت على معنى الإشارة في بعض الحالات نحو: (اليوم، أي في هذا اليوم والليلة، أي في هذه الليلة).

ويقول "برجشتراسر": " أن "من" و"ما" من أسماء الاستفهام، وأصلهما واحد، يعني: "ما" وألحقت بها النون، فتدل على الأشخاص إذا وقعت مع هذا الحرف اللاحق وعلى الأشياء إذا وقعت بدونه، وبعض اللغات السامية يستعمل mà وmü أيضا كما أن أكثرها يستعمل : "إذا وذي" .

ومن أسماء الاستفهام " أي" وهي مضافة دائما في العربية، مع أنها وصف في بعض اللغات السامية الأخرى.

وأشار برجشتراسر إلى الأفعال موضحا أن العربية ابتدعت ماضيا متعديا، دالا على عمل اختياري، على صيغة (فعل)، متفقة في ذلك مع سائر اللغات السامية الغربية وأنها ابتدعت مضارعا منصوبا، علاوة على المجزوم، والمرفوع، مختصة بذلك وحدها دون سائر أخواتها.

وينصب الفعل المضارع إذا سبق بأحد الحروف الناصبة، وهي (أن، لن، كي،إذن، لام التعليل، فاء السببية، حتى، واو المعية، أو.....الخ).[1]

كما يقول برجشتراسر أن العربية تميزت عن سائر اللغات السامية بخصائص كإلحاق النون المؤكدة بالمضارع والأمر، فالأكادية تستخدم الميم لا النون، وفي العبرية تلحق النون إلا قبل الضمائر المتصلة المنصوبة، ومن ما يميزها أيضا تخصيص معاني بنية الفعل وتنويعها إما باقترانها بالأدوات نحو (قد يفعل)، وفي النفي (لا أفعل).

ونجد اللغة السريانية أقرب إلى العربية فهي أيضا تقدم قبل الفعل صيغا من صيغ كان أو تأخرها بعده.

[1] - عفت وصال حمزة، أساسيات في علم النحو، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر، لبنان، 1423هـ/ 2003م، ص16.

فإنا نرى الأسماء المتقاربة المعنى متفارقة في الوزن، ولو اشتقت من أفعال لكان من الواجب أن يكون لكل معنى وزن واحد يبنى عليه الأسماء أو أوزان قليلة.

كما أنه يرى أن أكثر الأسماء المبنية على الأوزان هي أسماء المعاني والصفات ولكل وزن منها خير في المعنى والخدمة، وكل اسم معناه وخدمته داخل في ذلك الخير يبني على ذلك الوزن.

نجد أن العربية كانت تميل إلى كثرة الأشكال والتفنن في الصيغ الكثيرة ونرى مثل ذلك في صيغ جمع التكسير, فهي متعددة أيضا.

ويقول "بروكلمان":" أن الكثرة العظيمة لأبنية الاسم في اللغات السامية يرجع إلى ثلاثة أصول من الأصوات الصامتة، غير أنه يوجد أيضا بين الثروة الغوية القديمة، أسماء ذات أصلين من تلك الأصوات وهي أولا تلكك الكلمات التي تدل على القرابة مثل (أب، أخ، وحم) ويرى أن الأوزان الإسمية تطورت تطورا أكبر من تطور الأوزان الفعلية.[1]

تحدث برجشتراسر عن جمع التكسير فيرى أن أصله هو أسماء الجملة التي تدل على جنس متركب من الأفراد، وهي كثيرة في اللغات السامية وغيرها منها (القوم، والحي، والأهل، وغيره)، ومعناها بين معنى الجمع ومعنى المفرد، وقد تكون مادة الواحد غير مادة الجملة في بعض الأوقات،نحو (القوم) فالواحد منه (رجل أو امرأة).

وإذا تساوى الاسمان: اسم الجملة واسم الفرد في مادتهما عرض أحيانا أن ينسب أحدهما إلى الآخر فيصير اسم الجملة جمعا حقيقيا دالا على الأفراد بالكثيرة وكثيرا ما اشتقوا من اسمم الجملة لا القديم، اسم وحدة بالحق تاء التأنيث، نحو (شاة وشاء).

ونجد فرقين بينه وبين سائر أسماء الوحدة، أولهما المصدر ليس باسم جملة،واسم المرة ليس باسم عين والثاني أنا سم المرة يكاد أن يكون دائما على وزن (فعلة) وإن كان المصدر على غير وزن، (فعل)، وقد تلحق في الجمع بآخر الكلمة اللواحق، أو بأولها الهمز، ويصاحب كل ذلك كثير من إبدال الحركات، وكثيرا ما يجمع بين علامتين من علامات جمع التكسير أو أكثر

[1] - فقه اللغات السامية، ص93.

من ذلك مثال ذلك: الجمع بين المد والتقصير وقد تلحق بالجمع في أول الكلمة الهمزة مع إسكان فاء الفعل نحو (شريف/ أشراف) ومن خصائص العربية حصر بعض صيغ جمع التكسير، وهي (فعلة وأفعل وأفعلة وأفعال) في العلة، وأما جمع الجمع نحو (بلد/ بلاد/ بلدان).

" استخدام جمع التكسير يكاد يكون مقصورا على اللغات السامية الجنوبية أي العربية بفرعيها الشمالي والجنوبي والحبشية ولعل في بعض اللغات السامية الشمالية بقايا من هذا النوع من الجمع، ونلاحظ أن أوزان جموع التكسير في اللغات الجنوبية هي أوزان سامية، الأمر الذي يستدل منه على أن هذه الأوزان المشتركة كانت في الأصل لغير الجمع ويبدو أن التفسير الأقرب هو أنها كانت للدلالة معلى ما يعرف بـ"اسم الجمع" أو "اسم الجنس" ثم انتقل استعمالها لمجموع الأفراد الواقع تحت ذلك الجنس، وقد وسعت العربية استخدام بعض الأوزان السامية وطورت دلالتها من اسم الجنس نفسه إلى الجمع ولعل مجرد الرجوع إلى المصادر النحوية القديمة، ككتاب سيبويه والمقتضب للمبرد، يظهر مدى توسع العربية في هذه الظاهرة وتحديدها للعلاقة بين أوزان جموع التكسير وأوزان المفرد".[1]

يشير برجشتراسر إلى أن أكثر الأسماء والضمائر تنقسم إلى مذكر ومؤنث وأشار إلى الإتباع الذي عرفه بأنه القاعدة التي بمقتضاها لا يتبع الاسم المذكر إلا مذكر، صفة أو خبرا أو فعلا، وكذلك في المؤنث، فكان من المنتظر أن يكون لكلا الجنسين أو لأحدهما، علامة مميزة خاصة به، يشترك فيها كل الأسماء المنسوبة إليه وأن يكون يعد كل واحد من الأسماء بين أسماء الجنس الواحد دون الآخر، بسبب مفهوم ظاهر، وعلامة التأنيث في العربية ثلاثة هي: التاء، والألف المقصورة، والألف الممدودة ومنها ما هو شبيه بالمذكرات، نحو الأسماء الموصوفة والأوصاف أيضا.

ويرى أن جمع التكسير يتبع في بعض الأوقات كأنه مذكر مجموع، وفي بعضها كأنه مؤنث مجموع وأكثرها مؤنث مفرد، وأما الجمع الصحيح فعلامة المذكر منه تلحق بالاسم المؤنث في بعض الحالات.

[1] - فقه العربية المقارن، ص143.

ويرى أن تاء التأنيث لا تدل على الأنوثة في الأصل البتة، وذلك أنا نجد اللغة لم تستخدم التاء لتمييز الذكر والأنثى في الزمان القديم، بل فرقت بينهما بمادة الاسم نفسها.

ويقول "ديزيره": " أن المذكر ينقسم إلى نوعين اثنين: مجازي وحقيقي، فالمجازي هو ما لم يكن مؤنث من جنسه، والحقيقي هو ما كان مله مؤنث من جنسه، وقد عرفه " ابن الأنباري": كما يلي: " اعلم أن المذكر أصل للمؤنث، وهو ما خلا من علامة التأنيث لفظا وتقديرا، وهو على ضربين أحدهما حقيقي، والآخر غير حقيقي، فأما الحقيقي فما كان له فرج الذكر وأما غير الحقيقي، فما لم يكن له ذلك".[1]

ونجد أن علامة التأنيث "التاء" لا تدخل على بعض الأسماء المشتقة مطلقا لو مؤنثا منها ما كان على الأوزان التالية،(فَعُولٌ، مِفْعَالٌ، مِفْعِيل، مِفْعَل).[2]

وهناك حالات عديدة لتأنيث الصفة منها، زيادة تاء مربوطة في آخرها نحو (مسرعة).

- على وزن " فعلى" (لما مذكره "فعلان" من الصفات)، نحو نعسى (مؤنث نعسان).
- على وزن "فعلاء" (لما مذكره "أفعل" الدال على لون أو عيب أو حلية).
- على وزن فعلى (لما مذكره أفعل التفضيل) نحو كبرى (مؤنث أكبر).

كما أن في اللغة العربية ألفاظ اختصت بالمؤنث لا تحمل علامة التأنيث لأنها لا تفيد مذكرا، أشهرها: (حائض، طامث، عاقر، حامل، عانس، يائس، معصر.....الخ).[3]

يقول برجشتراسر:" أن العربية انفردت عن غيرها من الساميات بشيئين هما: إعراب الخبر والمضاف، فقد كان إعراب خبر الجملة الإسمية في اللغة السامية الأم غير معرب على الجزم، كما أشار إلى إعراب الخبر بعد ما كان في الأول غير معرب، شبه بالوصف المعرب، وكان ذلك تدريجا من درجتين.

[1] - الصرف وعلم الأصوات، ديزيره سقال، ط1، دار الصداقة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ص45.

[2] - نفسه، ص48.

[3] - الصرف وعلم الأصوات،ص 52.

وأما المضاف فهو غير معرب في الأكدية ونجد في العبرية والآرامية ما يدل على أن المضاف لم يكن معربا فيها أيضا، فيظهر أن إعرابه من ابتداعات اللغة العربية.

والحالة الثانية التي ابتدعتها العربية هي عدم انصراف بعض الأسماء نحو (بغوث وعمر، وطلحة) وكثير من أبنية جمع التكسير فهو من غرائب اللغة العربية ومعلوم أن الإنصراف مقصور على حالة التكسير، ويرى أن التنوين وإن كان علامة التنكير في كل ما بقي من مستندات اللغة العربية فربما كان في الأصل علامة للتعريف، غير أن أداة التعريف كانت في الآرامية العتيقة، فتحة ممدودة ملحقة بآخر الكلمة ثم صارت تخلق بالاستعمال الكثير وتضعف قوتها المعرفة، ثم بعد ذلك خلقوا كثيرا من الوسائل في اللغات الآرامية لتأدية التعريف منها: إلحاق الفتحة الممدودة بآخر الكلمة فصارت هي علامة للتنكير.

ومن مسائل الإعراب، تطابق الجر والنصب، في الجمع المؤنث الصحيح، وأيضا أصل الفتحة الإنتهائية في: تحت، وقبل، وبعد، وأشباهها فهي علامة للظرفية.

من الراجح أنه قد وجدت في السامية الأولى إمكانية التفرقة بالنهايات بين بعض العلاقات الإعرابية في المضارع، غير أن الاستعمال اللغوي هنا، مختلف من لغة إلى أخرى، بحيث لا يمكن استخلاص تصريف معين منها للسامية الأولى.[1]

يشير برجشتراسر إلى أسماء العدد فيرى أن كل الأعداد من الاثنين إلى التسع، لها مؤنث يوافق مذكرها، والعشر على غير ذلك، فالشين ساكنة في المذكر، متحركة في المؤنث، أي (عشرة) وإذا ضم إليها عدد من الأعداد دونها، فالشين متحركة في المذكر، ساكنة في المؤنث نحو، (ثلاثة عشر)، و(ثلاث عشرة).

ومن المعلوم أن الأعداد من الثلاثة إلى العشرة تضاد المعدود في الجنس أي تكون مؤنثة إذا كان هو مذكر، أو بالعكس نحو: ثلاثة رجال وثلاث نسوة، وكذلك الثلاثة إلى التسعة إذا ضمت إلى العشرة والعشرة نفسها توافق المعدود نحو، (ثلاثة عشر رجلا، وثلاث عشرة امرأة).

[1] - فقه اللغات السامية، ص145.

العددان "واحد" و"اثنان" صفتان، أما الأعداد الباقية فهي أسماء يتعلق بها المعدود أصلا، في صورة المضاف إليه غير أنه يوجد في كل اللغات بدايات لاستعمالها صفات كذلك، والأعداد من الثلاثة إلى عشرة تقع في الجنس المخالف لجنس المعدود دائما في الأصل غير أن هذا الاستعمال اللغوي قد تقهقر كذلك، لا سيما في الحبشية تقهقرا شديدا يرجحان المؤنث على المذكر.[1]

وأما الأعداد من إحدى عشرة إلى تسعة عشر فإنه يعبر عنها بالاتصال المباشر للاتحاد التي تقع في الأول بالعشرة،حيث تذكر هذه إذا كانت الآحاد مؤنثة، والعكس بالعكس، وهذه التراكيب غير معربة في العربية تنتهي بالفتحة القصيرة".[2]

[1] - نفسه، ص106.

[2] - فقه اللغات السامية، ص106.

الفصل الثالث

المبحث الأول: الدراسة التركيبية

المبحث الثاني : الدراسة الدلالية

1-الدراسة التركيبية:

يشير "برجشتراسر" في باب التركيبات إلى شبه الجملة، فمن الكلام ما هو ليس بجملة بل هو كلمات أو تركيبات أو إضافية، وهذا و أمثاله يسمى شبه جملة، فهي اسم في أكثر الحالات ولا يمكن أن تكون فعلا، وأكثر أشكاله مركب من ضمير وهو المسند إليه، ومن مادة الفعل وهي المسند، ومن بين أشباه الجملة غائب ماضي الفعل، والأمر، والأصوات، فهناك الاسم إذا كان شبه جملة مرفوع في بعض الحالات ومنصوب في أكثرها.

والعربية قد حصرت الاسم المرفوع ومعناه وجود الشيء في تركيبات معينة منها: ضم جملة وصفية أو شبيهة بالوصفية إلى الاسم القائم مقام جملة ومنها (إذا) مع اسم مرفوع بعدها مثاله من الحديث: "التفت فإذا النبي معناه: فكان النبي موجودا.

وقد لا يكون الاسم المرفوع شبه جملة، بل خبر مبتدأ محذوف، يمكن تقديره مما سبقه.

ومن التركيبات أيضا (لولا) مع اسم مرفوع بعدها، نحو (لولا دعاؤكم)، أي: ل(لولا أن وجد دعاؤكم).

ووقوع الاسم منفيا للدلالة على عدم الشيء (ولابد) وما يماثلها من نفي الجنس من أشباه الجملة أيضا.

ونجد النصب كثير الاستعمال في أشباه الجملة المقاربة للهتاف، والنداء، والندبة، بخلاف الإخبار.

وأنواع أشباه الجملة على اختلافها، قد تقرب في بعض الأحيان إلى الجمل الكاملة وذلك يكون على وجهين إما بإعمالها عملا كعمل الأفعال، أو بعطف اثنين منها بعضها على بعض.

وأشار "برجشتراسر" إلى الجملة البسيطة وهي إما جملة اسمية أو جملة فعلية، والجملة الاسمية كثيرة في اللغات السامية وقد حافظت كلها على الجملة الاسمية المحضة تفي حيز واسع.

والجملة الاسمية المحضة، كما أنها مبهمة من جهة الأوقات وما شاكلها فهي مبهمة أيضا من جهة طبيعة العلاقة بين المبتدأ والخبر فإنا نراها وصفية في بعض أفرادها نحو (بيتي كبير) و(بيت كبير)، وبدلية في البعض الآخر، والبدل نفسه مبهم نحو، (لباسهم حرير)و (لباس حرير)، أي: (لباس من حرير) .

والجملة الاسمية، كانت في الأصل أشد إبهاما مما نجدها عليه في العربية، فإنها تفترق في العربية، عن تركيبات الأسماء التي ليست بجملة كالوصف والبدل افتراقا بينا، ومن الروابط التي تربط المبتدأ في الجملة الاسمية بخبره، إدخال ضمير بينهما، وإدخال الضمير ليس بواجب بيد أن العربية تقتضيه في حال كون الخبر معرفا، نحو "هذا هو الصواب" وسمى النحويون الضمير في مثل هذا " ضمير الفصل" لأنه يفصل بين الاسمية، ويشير إلى أنهما جملة.

وخبر المبتدأ إما أن يكون مفردا وإما أن يكون جملة، فإذا كان جملة وكانت نفس المبتدأ لم تحتاج إلى رابط يربطها به لاتحادها مع المبتدأ نحو (قولي الحمد لله)، وإن كانت جملة الخبر غير المبتدأ فلا بد فيها من رابط يربطها بالمبتدأ، ويكون الرابط ضمير أو اسم إشارة وقد مثل " ابن القيم" لذلك وفاته أن استقصى ما نص النحاة عليه من أنواع الروابط كتكرار لفظ المبتدأ مثل (الحاقة ما الحاقة) أو عموم في جملة الخبر يدخل تحته المبتدأ نحو " زيد نعم الرجل" بيد أن ابن القيم نبه على أمر هام يفعله النحاة وهو أنه (قد يستغنى عن الضمير إذا علم الرابط وعدم الاستقلال بالسياق).[1]

وقد يدخل الضمير في العربية بعد فعل (كان) أيضا، فإذا كان (المتكلم) المبتدأ متكلما، كان الضمير متكلما أيضا وكذلك في المخاطب.

وقد يدخل الضمير إذا كانت الجملة معمولة لفعل من أفعال القلب، أو أخوات (جعل) فيصير اسمها مفعولا له.

[1]- ابن القيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، ص125.

ومن الروابط بين المبتدأ والخبر (الباء) وتلحق بالخبر وأكثر ذلك عند النفي. وقد يدخل بين المبتدأ وخبره (الفاء)، والفاء الداخلة بين جزء مقدم من الجملة، وبين باقيها، بعض أصلها من (الفاء) الواقعة في جواب (أما) وبعضه من (الواو) العاطفة بين اثنين من أشباه الجملة، مع أنه يمازح هذه (الواو) شيء من (واو) الحال.

وخبر الجملة الاسمية في (كل امريء فله رزق سيبلغه) فالخبر في هذه الجملة، جملة كاملة هي (له رزق)، ولا بد من أن يوجد في الجملة الخبرية ضمير راجع إلى المبتدأ هو في المثال: الضمير المتصل في (اله).

وهذا التركيب نسميه بالجملة الاسمية المركبة، كثير الاستعمال في العربية بعضه بالفاء بين المبتدأ والجملة الخبرية وأكثره بغيرها وهو قديم سامي الأصل، " وإذا وقع الخبر شبه جملة فأكثر النحاة يقدرونها متعلقة بمفرد مشتق وبعضهم بقدرها متعلقة بالفعل والمتعلق فعلا كان أو اسما متحمل للضمير وقد حكى "ابن القيم" ذلك عن النحاة ولكنه رأى أن تقدير الجملة أي الفصل متعلقا مستغنى عنه في باب خبر المبتدأ وأنه خلاف الأصل، وتقدير الفعل متعلقا يوجبه النحويون في صلة الموصول وكذلك ابن القيم".[1]

ومن خصائص العربية: أن مبتدأ الجملة الاسمية المركبة ربما كان ضميرا للغائب، لا علاقة له بالجملة الخبرية، ولا راجع إليه فيها وهذا ما سماه النحويون ضمير الشأن ، نحو " إنه لا يفلح الظالمون".وأكثر ذلك بعد (إنّ) كما هو في هذا المثال أو بعد (أنّ).

ومبتدأ الجملة الاسمية منصوب بعد إن وأخواتها وكثرة ذلك من خصائص العربية مع كون أصله ساميا شائعا في غير العربية أيضا ومما يدل على أن (إن) كانت تعمل النصب في الأصل كما تعمله في العربية.

وفي العبرية تلحق بها الضمائر على الطريقة التي تلحق بمضارع الفعل وأمره، ويشير "برجشتراسر" إلى الجملة الفعلية وهي أبسط تركيبا من الجملة الاسمية فتكلم عن فعل المعلوم وهو من مسائل الجملة الفعلية وهو فعل ما لا يسمى فاعله، وفي العربية قد يسند فعل ما لم يسم

[1] -ابن القيم الجوزية، جهوده في الدرس اللغوي، ص128.

فاعله، في بعض الأوقات إلى ما لم يكن مفعولا، بل كان منصوبا غير مفعول ولا نظير لذلك في غير العربية.

ونجد الجملة المفقودة المسند إليه كثيرة في اللغات العربية أما في العربية فلا نجد جملة مفقودة المسند إليه معنى وهذا من خصائص اللغة السامية الأصلية، ونجد العربية تتميز عن سائر اللغات السامية وغيرها بإسناد الفعل أو الخبر إلى ظرف زمان مثل:" إذا ما نام ليل الهَوْجَلْ" أي " إذا نام البطيء والأحمق ليْلهُ".

ومن المعروف في العربية الفصحى، أن الفعل يجب إفراده دائما حتى وإن كان فاعله مثنى أو مجموعا، أي أنه لا تتصل به علامة تثنية ولا علامة جمع، وتدل مقارنة اللغات السامية، أخوات العربية على أنه في تلك اللغات يلحق الفعل علامة التثنية والجمع وللفاعل المثنى والمجموع كما تلحقه علامة التأنيث عندما يكون الفاعل مؤنثا سواء بسواء"[1] .

كما تطرق "برجشتراسر" إلى موضعين من تركيب الكلمات تفي داخل الجملة هما: توابع الاسم وتوابع الفعل.

فتوابع الاسم هي: التعريف فنجد أداة التعريف في اللغات السامية العبرية والآرامية، والعربية اثنتان: (hà) في العبرية والآرامية وهي: (à l) في العربية، فقواعد التعريف والتنكير فيها متقاربة جدا وهذا التقارب بينهما قد يكون من أصولها المرتقية إلى زمان كونها لغة واحدة ويمكن أن تكون التغييرات المستقلة على خطوط متوازية.

ومن أهم قواعد التعريف في اللغات الثلاث هو أن المضاف إليه معرف يعرف المضاف، فلا يمكن إدخال آله التعريف عليه، ونجد العربية وضعت للتعريف قواعد وقيدته فنجدها شددت معنى التنكير حتى إنه يعبر في المفرد عن الوحدة، والجمع المنكر قد يعبر به عن التعدد.

[1] - المدخل إلى علم اللغة، ص300.

ومن ذلك: إثبات درجة بين التعريف والتنكير ووضع قواعد لها وهي أنواع: أحدها تعريف الجنس بخلاف تعريف العهد، ومن ذلك إضافة بعض الكلمات المبهمة إلى المعرف فتبقى منكرة مع ذلك، نحو "بعضهم" أي واحد أو عدة منهم.

وعدم اتفاق اللغات السامية على شكل موحد لأداة التعريف، وهي لا تتفق كذلك على مكان ثابت لها، فمن أشكالها في العربية الشمالية والعربية الجنوبية (ال، وهل، وأن، وهن، وأم) وهي في أول الكلمة في العربية، وفي آخرها في بعض اللهجات العربية البادئة وهي (الهاء) في العبرية وبعض العربيات البادئة كالتمورية، وموقعها في أول الكلمة ، أما في الآرامية والسريانية فهي (ألف) في آخر الكلمة، وقد كانت قبل ذلك (هاء) و (ألفا)".[1]

أمّا البدل والتوكيد والوصف فأكثر خصائصها سامي الأصل، لا تختص به العربية، وأما التمييز وما يقاربه فكثيرا ما نجد الاسم التابع لغيره منصوبا منه النصب بعد الأعداد، ومن ذلك التمييز التابع للوصف، وخصوصا المفضل منه، وهذا يكاد يكون خاصا بالعربية.

ومن خصائص الوصف، وصف الشيء بصفة شيء آخر مربوط به، يذكر بعد الصفة مثل: (مررت برجل كثير أعداؤه) فوصف الرجل بصفة شيء مربوط به، وهو (الأعداء) الذين صفتهم الكثرة.

ونجد كثيرا ما يكون الكلام مبهما وحتى مخطئا خفي الأول، ثم يستدرك أو يصحح، ومثاله في العربية: بدل الاشتمال والغلط نحو (أعجبني عمرو حسنه وأدبه وعلمه) و(مررت برجل حمار)، أي (لا برجل بل بحمار).

وللوصف وجهان: يكون وصفا للسم السابق له، وخبر للاسم التالي له، ويجوز جعل مثل هذا الوصف اسما موصوفا، كسائر الأوصاف كما يجوز القول: " الحسن، يعني: الرجل الحسن".كما يتحدث "برجشتراسر" أن الإضافة سامية الأصل، وأنها قد توازن إلا الإبدال أو

[1] - بحوث في الاستشراق واللغة، ص57.

التأكيد في بعض الأحوال، منها أنه يمكننا أن نقول: (ثوبُ حريرٍ) أو (ثوبٌ حريرٌ) ويمكن أن يقال (ثوبٌ من حرير) أيضا.

ومن ذلك أن الكل ومثلها (النفس)، ونحوهما قد تضاف إلى الاسم وقد تبدل منه باتصال ضمير راجع إليه مثل ذلك: " كل الناس" أو " الناس كلهم" وكلتا الحالتين أو الحالتان كلتاهما، و" نفس الأمر" أو " المرء نفسه"، وضد الكل هو "البعض" وتركيباتها متنوعة في العربية، يوازن بعضها تركيبات الكل، ولا نظير لها في سائر اللغات السامية، ومنه (غير) وهي ما اخترعته اللغة العربية، مبنية في ذلك مزيتها وطبيعتها، فإننا نرى (غير) متنوعة المعاني والوظائف واسعة العمل، وهي مع ذلك مضبوطة بقواعد.

ومن غريب الإضافة : إضافة الاسم إلى الصفة وبالعكس مثال الأول: "سورة الفاتحة" فالفاتحة قائمة مقام الاسم الموصوف وهي باسم علم لأم الكتاب ،فالإضافة في سورة الفاتحة كالإضافة في "مدينة بغداد".

والثاني أي إضافة الوصف إلى أنواع منها: " حسن الوجه" وفائدة الإضافة هنا تخصيص المعنى، فالحسن يرجع إلى الوجه فقط، لا إلى غيره ونرى المضاف إليه في هذا التركيب دائما معرفا في العربية تعريف جنس ولا يعرف في غيرها.

فيظهر أن إضافة الوصف إلى اسم يخصص معناه، سامية الأصل، غير أن العربية عرفت المضاف إليه، وهو منكر في الأصل، ومن إضافة الوصف إلى الاسم:" أفضل الرجال"،و "أفضل الرجل" و" عزيز كتابكم" وما يماثلها، فرفع الوصف في كل هذا إلى درجة الأسماء الموصوفة، كأنه يقال:" الشيء العزيز من كتابكم" إلى آخره.ومن أحوال الإضافة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو كثير في العربية.

كما تطرق "برجشتراسر" إلى توابع الفعل فذكر أنها تنصب مفعولا كانت أو حالا أو خبرا أو ظرفا أو غير ذلك، إلا ما تداخل بينه وبين الفعل حرف من الحروف الجارة، وأكثر ذلك سامي الأصل فالنصب هو عمل الفعل.

كما أن الجر هو عمل اسم وللعربية قليل من الخصائص، فالنصب ظاهر في العربية، يظهره الإعراب كإظهاره للرفع والجر، بل إظهارا أبين من إظهاره لهما، فإننا نرى الرفع والجر يحذف إعرابهما في الوقف، والفتحة الانتهائية في النصب، إذا كان الاسم منكرا لم تحذف بل تمدد وذلك يدل على أنها ممدودة في الأصل والعربية كثيرة الاستعمال للنصب ففي الحال، وفي خبر (كان) وأخواتهما، وخبر الفعل (كان) حال في الأصل ومما تنفرد به العربية من هذا الباب، كثرة وقوع المصادر حالا نحو" أخذت ذلك منه سمعا" أي" سامعا.

ومن مسائل عمل الأفعال: عملها العائد إلى فاعلها وأيضا وصل الضمير بالفعل، وكذلك التعويض عن الفاعل باسم الفعل مثل:" ومن يتعد حدود فقد ظلم نفسه" فاتصل بالنفس للضمير العائد إلى الفاعل، وإذا كان الفاعل ليس مفعولا، بل أضيف إليه جار يمكن يوصل بالجار ضمير عائد إلى الفاعل مثل:" دعاه إليه" وإدخال النفس بينهما أكثر استعمالا مثل، " دعاه إلى نفسه".

يشير "برجشتراسر" إلى الحروف الجارة فكثير منها سامي الأصل، وقد زادت العربية على الحروف الجارة القديمة حروفا جديدة كثيرة منها (في) علاوة على (الباء)، ومنها (عن) علاوة على (من) السامية الأصلية ومن ذلك أن (im) العبرية يحاذيها في العربية جاران وهما (مع) المطابقة لـ (im) نفسها ، و(عند) المطابقة لفظا لـ (immàdi) العبرية أي (معي).

فصارت (الباء) تدل على الإلتصاق، والإستعانة والمصاحبة و(في) تدل على المكان وكذلك صارت (من) تشير إلى ابتداء الغاية، والتبعيض والتبيين و(عن) تشير إلى البعد، وقد ابتدعت العربية عددا كبيرا من الأدوات الجارة وأكثرها على قياس (تحت) وهي نفسها سامية الأصل ومما قيس عليها في العربية، (دون ،وفوق، وبعد) وغيرها.

ومما اختصت به العربية، من ضروب استعمال أدوات الجر (الباء) لتعدية أفعال التحرك والانتقال من موضع إلى موضع نحو: (جئت به) أي: أجأته.

ومنه إدخال (من) بعد (ما) و(إن) النافيتين، ويمكن إضافة الجار، وخصوصا (من) إلى بعض الحروف الجارة والمبنية على الفتح منها، فتخفض إذن نحو، هذا من عند الله" ولا تجوز

إضافة الجار إلى (مع)، فالحروف الجارة المبنية على الفتح، غير (مع) أصلها نصب الظروف، فلا عجب أنها تخفض بعد جار.

وقد يضعف معنى الاسم المضاف إليه حرف جر إذا كان مضافا إليه اسم آخر أو ضمير، فيصير معا بمنزلة حرف جر مثل: بين يديه أي: (أمامه).

والإتباع في اللغات السامية وخصوصا في العربية ناقص من جهات منها، أن الفعل المقدم، يجوز أن يكون مذكرا مفردا في أكثر الحالات، على اختلاف أحوال الفاعل ومنها: أن الجمع الكسر وما يشاكله يتبع غالبا كأنه مفرد مؤنث.

فإن الأصل في (على) هو: (àLay) في العربية على، وفي الحبشية (LàLà) وفي العبرية والآرامية: (àL) كما أن الأصل في (إلى) هو(iLay) في العبرية (él)وفي العربية (إلى)".

ويتحدث " برجشتراسر" عن أنواع الجمل فيذكر منها:

1- الاستفهام: يقول أنه جنسان في كل اللغات،استفهام عن كلمة ويكون جوابه كلمة، واستفهام عن جملة ويكون جوابه (نعم) أو (لا)، واللغات السامية لا تعرف تأدية الاستفهام بترتيب للكلمات خاص به أصلا، فإما أن تستغني عن كل إشارة إليه إلا النغمة، وإما أن تستخدم الأدوات والأول موجود فيها كلها وهو نادر في العربية الفصيحة فأدوات الاستفهام عن الجملة في العربية اثنان: (هل والهمزة)، ولا توجدان في غير العربية من اللغات السامية والهمزة هي المألوفة الكثيرة الاستعمال و(هل) أشد قوة في الاستفهام وقد ترمز إلى أن السائل يتوقع الجواب بلا، وضده هو التوقع للجواب بنعم، ويعبر عنه في كل اللغات بالاستفهام المنفي.

ومن خصائص العربية: إدخال الهمزة على (إن) مثل: " أئنك لأنت يوسف" وفي كل اللغات كثيرا ما يضم إلى الاستفهام، استفهام ثان على ضد الأول مثل "أجاء أخوك أم لم يجيء"، فلا بد من وقوع أحدهما من المجيء أو عدمه فيجب على المجيب أن يثبت الأول وينفي الثاني أو بالعكس.

2- **النفي:** أقدم أدواته في العربية (لا) وقد اشتقت العربية منها أدوات أخرى للنفي لا توجد في سائر اللغات السامية، إلا (ليس) فيقابلها في الآرامية (layt) وهي مركبة من (لا) واسم معناه: الوجود.

ومما يشتق من (لا): (لات) وهي نادرة لا تكاد أن توجد إلا في القرآنية الكريم وبعض الشعر العتيق، ومن ذلك (لم) وربما كانت مركبة من (لا) و(ما) الزائدة وقد تضم إليها (ما) ثانية، فتصير (لما)، و(لن) مركبة من (لا) و(أن).

والعربية لم تقتصر على اشتقاق حروف للنفي من (لا) بل اخترعت له بعض الأدوات الجديدة أيضا وهي (ما) و(إن) و(غير) ف(ما) و(إن) يحتمل أن يكون أصلهما الاستفهام.

إذا أردنا أن نبين وظائف أدوات النفي المذكورة على اختلافها، وتعلق بعضها وجب علينا تقسيم معاني النفي المهمة التي تؤديها الأدوات وهي ثلاثة أنواع: نفي الفعل، ونفي الخبر، ونفي الكلمة، وتضم إليها نوعا رابعا وهو عطف المنفي على المنفي.

فالنوع الأول ينقسم إلى نفي الماضي والحاضر والمستقبل، وإلى نفي الدعاء ونظيره إلى نفي الأمر وهو النهي والنوع الثاني بسيط والنوع الثالث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: نفي وجود الشيء، ونفي وقوع معنى الجملة على الشيء ونفي الاتصال بالشيء.

ومن ذلك ما قيل في (لا)، و(إن) النافيتين، ومنه أيضا ما قيل في (ليت) إذ هي عاملة، أي أن الاسم الأول بعدها يأتي منصوبا والاسم الثاني يأتي مرفوعا، ولكن الرغبة في التخلص من هذه المفارقة الشكلية جعلت المستعمل اللغوي يجد لنفسه مخرجا من ذلك بالتوحيد بينهما إذ أدخل ما على (ليت) فعلل (ليتما).[1]

و"برجشتراسر" في كلامه عن تركيب الجمل، يرى أنه جنسان تسوية وإعمال وكلاهما نوعان: عطفي وغير عطفي، تسوية عطفية،وتسوية غير عطفية.

[1] - بحوث في الاستشراق واللغة، ص123

والإعمال غير العطفي منه: الصفة مثل" جاءني رجل لا أعرفه" وكثير من الحال مثل: " قعدت أتفرج" وغيرهما.

والإعمال العطفي كثير منه كل ما يربط بالأسماء الموصولة و(إنْ) و(أنْ) و(إذْ) و(إذا) و(لما) إلى غير ذلك، من تسوية غير العطفية بين الجمل في اللغة العربية، بدل الفعل من الفعل، مثل :" أسِرَ يومئذ معبد (بن زرارة) أسره عمرو بن مالك، الغرض من التركيب هنا، ذكر فاعل ما لم يسم فاعله ابتداء، فهذا النوع من بدل الفعل من الفعل خاص بالعربية.

والعطف في التسوية كثير في العربية وهو الأصل فيها وحرف العطف الأصلي هو "الواو" وهي سامية الأصل ونجد في العربية معها (الفاء) وأصل معناها: (أيضا).

ومن استعمال أدوات التسوية العطفية في الإعمال (واو الحال) في مثل: (قُتل زوجها وهي حامل)، والذي يدل على الإعمال هنا هو العطف مع تضاد الجملتين في طبيعتهما، فإن الأولى فعلية ماضية والثانية اسمية غير معينة الوقت وأصل العطف هو عطف المتماثلين.

ومن استعمال العواطف في الإعمال: (الفاء) في جزاء الشرط وغيره مثال ذلك:" إن عصى فويل له"، فالقصة فيها مثلها في (واو) الحال فإن الذي يميز (فاء) الجواب عن رفاء العطف هنا هو تضاد طبيعة الجملتين، فالأولى فعلية يعمل في فعلها حرف الشرط والثانية اسمية لا عمل للشرط فيها.

ومن الإعمال بالعواطف (الفاء)، (الواو)، و(أو)، والنواصب والأصل فيها كلها : العطف والتسوية.

وأنواع الإعمال غير العطفي كثيرة، ويصاحب كل واحد منها نوع من الإعمال العطفي وهي أنواع:

1*/ الجمل الوصفية:

فالجملة الوصفية إما صفة أو صلة وقد فرقت العربية بين الجنسين فالصفة تقتصر على وصف الأسماء المنكرة، وتقتصر الصلة على وصف الأسماء المعرفة والجنسان موجودان في

سائر اللغات السامية وإن لم تفرق بينهما تفريق العربية، فتسقط الموصول بعد المعرف في كثير الأوقات وتختلف اللغات السامية في الاسم الموصول نفسه إلا أن أصله اسم من أسماء الإشارة منها العربية.

والاسم الموصول في الأصل جزء من أجزاء الجمل العاملة، لا المعمول فيها واحتفظت العربية بذلك، فأتبعت الاسم الموصول الاسم الموصول به في إعرابه وقد حافظت اللغات السامية على وقوع الضمير على الاسم الموصوف في داخل الجملة الوصفية.

ويجوز استعمال أسماء الاستفهام موصولة أيضا، فهذا وإن وجد في سائر اللغات السامية، فحيزه في العربية أوسع بكثير منه في غيرها و(من) و(ما) كثيرة جدا في هذا المعنى في اللغة العربية و (أي) أقل منهما وأصل معنى (من) منكر وهو بين الجمع والمفرد وإن أتبعت دائما كأنها مفرد.

وقد تضاعف (ما) لتأدية معنى الإبهام والتنكير فتصير (مهما) بدل (màmà) وتلحق (ما) بغيرها أيضا، مثل (أيها) و(من ما) و(كيف ما) و(أين ما) و (حيث ما)، أصل الكل أسماء أو ظروف استفهامية تستعمل كالموصولة وتعمل غالبا عمل حروف الشرط.

وقد تعددت استعمالات (من) و(ما) في اللغات السامية على نحو ما تعددت العربية فهي استفهامية، وموصولية، وشرطية، ودلت على العاقل وعلى غير العاقل.[1]

*/ قيام مضمون الجملة مقام الاسم الموصوف: فمثال ذلك أني إذا كنت مسرورا وأردت أن أتكلم عن تلك الحالة وأفيد مثلا ما سببها قلت:" سبب كوني مسرورا..."، فقلبت الجملة التي هي :" أكون مسرورا" مصدرا فأمكنني بذلك إضافة كلمة (سبب) إليها.

والوسيلة التي تصير بها الجملة اسما ناقصا من جهات منها: لزوم تغيير بناء الجملة تغييرا تاما، فيصير المسند إليه مضافا في أكثر الحالات ومنها إحالة التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل وغير ذلك، وأقدم الوسائل التي ابتدعتها اللغة لتصير الجملة اسما فهي في اللغات السامية، إدخال اسم موصول عليها، والعربية تستعمل (ما) في هذا المعنى ويسميها

[1] - بحوث الاستشراق واللغة، ص26.

النحويون (ما المصدرية) ولم تكتف العربية بحرف مصدري واحد هو (ما) بل اخترعت اثنين معه وهما: (إن) و(أن) وميزت بينهما بإدخال (أن) على الجمل الاسمية فقط و(إن)على غيرها.

والجمل المصدرية النائبة عن مفعول فعل من أفعال الإرادة والطلب وما يشاكلها تقترب من الجمل الغرضية في جوهر معناها ولذلك تتردد اللغات في التعبير عنها وبعضها شبهها بالجمل المصدرية المحضة ولم تقصر العربية هذا العمل على ما يشبه الجمل الفرضية من الجمل المصدرية المستأنفة بـ (أن) بل أطلقته عن كل ما فعله مضارع، ومما يدل على أن (أنْ) كثيرا ما تتعدى معنى المصدرية إلى معنى مستقل مقارب لمعنى (كي) حذف الحروف الجارة قبلها وهذا كثير في العربية.

ونجد أن أكثر ما تنوب عنه الجملة المصدرية من أجزاء الجملة هو المجرور بحرف جار ثم بعد ذلك المجرور باسم مضاف والمنصوب عن المفعولية، والأقل وقوعا هو الرفع مسندا إليه، وهناك وسيلة أخرى لإقامة الجملة مقام الاسم وهي إدخال (كون) عليها.

*/ الجملة الحالية:

تكون إما غير عطفية أو معطوفة بالواو والحالتين قديمتين فللحال في اللغات السامية طريقتان بسيطتان هما مثل: " جاءني وأنا قاعد" مركب من جملة فعلية وجملة اسمية مبتدؤها غير فاعل الفعل ونجدها أقرب إلى الفهم من الأولى، فعطف الجملتين هو المألوف ولا يحتاج إلى تعليل والجملة الاسمية أقرب إلى معنى الحال من الفعلية وخصوصا عند اختلاف المسند إليه في الجملة الثانية عنه في الأولى.

وأما النفي فنرى في الجملة الحالية المضارع المنفي بالحرف النافي القديم وهو لا يتبع المضارع غير المنفي، فيكون حالا بغير حرف عاطف والماضي المنفي يتبع الماضي غير المنفي، في إدخال الواو على الجملة الحالية فتستأنف بـ (لم) أو (ما)، تستعمل لنفي المضارع أيضا، ولا يجوز استغناؤها عن (الواو)، لأن أصلها استفهام لا نفي.

الجملة الحالية قد تكون خبرا، كما أن النصب في معنى الحال هو أصل النصب في خبر (كان) وأخواتها.

الجملة الحالية تختلف عن الاسم المنصوب على الحال في أن نصب كل توابع الفعل وبينها الحال.

الجملة الشرطية:

يشير " برجشتراسر" إلى أن حرف الشرط في العربية (إنْ) وهو قديم سامي غربي واستعمال الماضي وما بمنزلته في الجملة الشرطية دالا على بالحاضر والمستقل كثير في اللغات السامية.

إن العربية أطلقت الماضي على الجملتين بإتباع الثانية للأولى والغرض من ذلك تقوية عمل الشرط، وربما لم يكن ذلك إلا بعدما نسوا أصل استعمال الماضي في الجملة الشرطية حاسبين أن (يفعل) و(فعل) عبارة عن الحاضر والمستقبل خاصة بالشرط، يجوز استعمالها في الجزاء أيضا ومما أدّى إلى ذلك أنّ المضارع المجزوم قد زالت دلالته على الزمان الماضي في أوائل تاريخ اللغة العربية إلا بعد (لم)" تجيز القاعدة النحوية في باب الشرط أن كان فعل الشرط ماضيا أن يكون جواب الشرط مجزوما، وهو الراجح أو مرفوعا وهو مرجوح وهي قاعدة وصفية تعكس الاتجاه المألوف التفلت من وحدة الشكل الإعرابي إلى التعدد غير أن الترجيح هنا مبعثه نظرية العامل، فهذه النظرية تقتضي أن تكون أداة الشرط عاملة في فعلين تجزمهما فعل الشرط وجواب الشرط هنا غير مجزوم ويعود السبب في ذلك إلى أن الفعل ابتعد عن عامله ولذا فان بعض النحاة الذي يتشبثون بان أداة الشرط لا بد لها من فعلين تجزمهما"[1]

وأما نفي الشرط فهو دائما بـ (لا) أو (لم)، وبعدهما المضارع المجزوم، ولم يتممكن حرف النفي الجديد وهو (ما) من التداخل في هذا التركيب القديم، و(لم) هي النفي المألوف في الشرط، وقواعد الجملة الشرطية ينبغي أن تكون فعلية في العربية، إلا أنه يمكن تقديم الضمائر المؤكدة على الفعل.

وفي اللغات السامية غير العبرية، تجوز الجملة الاسمية في الشرط وان يرافقها (إذا) وهي خاصة بالعربية ومعناها بين الشرط وبين الزمان وعملها يتبع عمل (إنْ) في أكثر

[1] -بحوث في الاستشراق واللغة، ص132.

حالاته غير أن حداثة (إذا) تظهر جليا في اقتصارها على أحدث العملين الخاصين بـ(إنْ) وهو الماضي دون المضارع المجزوم.

ومما تنفرد به (إذا) عن أن كثرة وقوعها على الزمان الماضي فوضعت العربية لعامل (إذا) قواعد ثابتة منفصلة بين (إذا) التي يداخلها معنى الشرط و(إذ) المعبرة عن الحين المعين في الماضي، كل التفريق ولا نجد نظير كل هذا في غير العربية من بين اللغات السامية.

إن الفصل الحاد بين (أن) و(إذا) أمر لا يتفق والواقع اللغوي بل إن في الفصل بينهما أثرا من أثار النظر العقلي المجرد الذي يجنح إلى التسهيل فيأخذ بالتنظير والتقسيم إلا أن التركيب اللغوي في سياقه النصي ولقد كان من الصعب أن يفصل بين (إن) و(إذا) أو قل بين معنى الشرط والزمن في مواطن عديدة فكأنما أشرب أحدهما معنى إشرابا، فالشرط والزمان يختلجان اختلاج الروح الغامضة في التركيب نفسه أو لم لا؟ فمن اللغات لغات لم تفرق البتة بين التركيبين من حيث الشكل فاستخدمت للشرط والزمن أداة واحدة"[1] .

ويشتد الأمر تعقيدا في باب الشرط عند الحديث على فعل الشرط في المعطوف، فالعطف بـ (الواو) أو (الفاء) على فعل الشرط إذا كان مضارعا يجيز في المعطوف الجزم بالعطف ويجوز النصب على اعتبار (واو) المعية، فان كان (فاء) فهي (فاء) السببية، والفعل بعد أي منهما منصوب بـ (أن) مضمرة وعلى هذا أجاز أن يقال:" من يفعل الخير ويخلص النية، فيخلص النية يشبه الله". وذلك بجزم يخلص على العطف أو نصبها بـ (أن) مضمرة بعد (واو) المعية (فاء) السببية.[2]

2-الدراسة الدلالية:

تحدث "برجشتراسر" عن المشترك السامي من المفردات فأما الكلمات التي تشترك فيها كل اللغات السامية وبينها العربية والتي تستحق أن تعد بين أقدم عناصر اللغة

[1] -نفسه، ص97.

[2] - سيبويه ،الكتاب، ص87-88.

العربية بناءا على ذلك فهي بعض أسماء الإنسان وأحواله وأسماء الحيوانات وأسماء النباتات وأجزائها وأعضاء البدن وأجزاء العالم وبعض أسماء البيت وأجزائه والآلات ثم عدد كبير من الأفعال ومن الأسماء كما تنفرد العربية ببعض الكلمات عن غيرها من الساميات مع أن اللغة العربية قد اخترعت كلمات جديدة خاصة بكل أنواع الإبل على اختلافها فنعثر على أثار مزية العربية الخاصة بها في تاريخ مفرداتها كما وجدناها في تطور نحوها وصرفها.

الاشتراك ظاهرة مألوفة في اللغات السامية تتجلى في حروف المعاني بأسرها في كل من هذه اللغات بشهادة نحاتها، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والإنشاء وبين الماضي والمستقبل في العربية، وبين الماضي والمستقبل في العبري وكذا المضارع وهو أيضا مشترك بين الماضي والحال والاستقبال وتفيد الاستمرار التجددي في العربية والسريانية والعبرية وهناك مقدار كبير من الألفاظ المشتركة في كل من هذه اللغات وهناك مثلا ألفاظ نقلت عن معناها الأصلي إلى معاني مجازية أخرى لعلاقة ما وكثر استعمالها في غير مدلولها فغدت لذلك من المشترك وهي ليست منه وأصبح إطلاق اللفظ مجازا في قوة استخدامه حقيقة من ذلك مثلا لفظ (العين) الذي يطلق على العين الباصرة وعلى العين الجارية وعلى أفضل الأشياء واحنها وعلى النقد من الذهب أو الفضة ولفظ (الحمل) الذي يطلق على الجذع من ولد الضأن وعلى برج من بروج السماء وعلى السحاب الكثير الماء وغيرها.[1]

ذكر "برجشتراسر" مجموعة من المفردات وزعم أن العربية قد أخذتها من لغات قديمة، ومن هذه الكلمات ما نسبه إلى الفارسية ومنها ما نسبه إلى الحبشية ومنه ما نسبه إلى الآرامية وقد زعم أن الكلمات الآرامية المعربة كثيرة لا تكاد تحصى وتختلف منابعها فمنها يهودي ينبغي أن تكون قد أخذت من لهجة من اللهجات اليهودية الآرامية ومنها ألفاظ نصرانية وهذا الزعم الذي ذكره لا دليل عليه سوى اتفاق تلك اللهجات التي ذكرها مع عربية التنزيل فجعلها هي التي أخذت دون ذكر احتمالات أخرى يمكن أن تكون أقوى مما ذكر مثل أن تكون أصول هذه اللغات واحدة كما يزعم هو في كتابه أنها سامية الأصل فلم لا تكون هذه اللغات قد اتفقت اتفاقا ساميا وليس لأحدها فضل على الأخرى.

[1] - ربحي كمال، التضاد في ضوء اللغات السامية "دراسة مقارنة"، د.ط،بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1975، ص6.

وليس فيما ذهب إليه أي مقياس علمي يعتمد عليه سوى كون هذه الكلمات واردة في تلك اللغات فان كان يذهب إلى السبق التاريخي لأصحاب هذه اللغات فتلك قضية لا يوافق عليها إذ من ينسب إليه هذه اللغات هم عرب.

بل لقد حاول أن يخفي اتحاد هذه اللغات تحت مسمى السامية فقال:" فأما أصل هذه الكلمات الكثيرة الخاصة بالعربية فقد مال بعض العلماء إلى أنها أو أكثرها سامية أصلية أيضا، وسقطت من كل اللغات السامية غير العربية وهذا بعيد عن الاحتمال في الغاية ولا يجوز افتراضه إلا على فرض كون اللغة العربية اقرب إلى اللغة السامية الأم من أخواتها وحتى كونها هي اللغة الأصلية بعينها وقد بينا في مواضع كثيرة أن هذا من أهم الأوهام التي لا سبب لها فان اللغة العربية ترقت ترقيا أكثر من أخواتها وارتعت إلى درجة فوق درجتها فكيف يمكن أن تكون مع ذلك ناقر بالى أوائل اللغة منها" .[1]

ومن بعض الألفاظ التي ذكر "برجشتراسر" أنها آرامية: الرمان، الزيت، الخمر، المرجان، الباب، الزجاج، السكين، الخاتم، السلطان، الأمة، العالم، المدينة، السوق، القسط، السبيل، الساعة، كتب، كتاب، قرأ، التفسير،رحمن، قيوم، سكينة، فرقان، صلى، صام،تاب، زكاة، كفر، عبد،رجز،.....الخ.

ومن أمثلة تحليله للفظ قوله:" وسكينة ، وهي (skite) أصلها مصدر، أي السكون و النزول في محل، فخصت عند اليهود بسكون الحضرة الإلهية، وتنزلها في العالم وفي نفس الإنسان.

والفرقان وهي ،(Purkana)مشتقة من (Prak)، أي: أنقذ وحرر (Purtana) عند النصارى التخليص والفداء من الذنوب وجزائها، الموسومة بـ gnostiques (لأنهم يعتقدون أن وسيلة التخليص هي العلم الإلهي المنزل) أطلقوا: purtana على الوحي.

وإذا رجعنا إلى المعجم العربي وجدنا أن :

[1] التطور النحوي للغة العربية،ص211.

لفظة (سكينة) من أصل لغوي واحد يدل على خلاف الاضطراب والحركة (سكن)[1].

ويتفرع عن هذا الأصل اشتقاقات كثيرة: سكن، يسكن، سكونا، فهو ساكن ومسكون، وهو مسكين، وهذا وإسكان، وهم سكان.....الخ. إن هذا الاشتقاق يدل على أصالة اللفظة عربيا.

" لفظة (فرقان) من أصل لغوي واحد بدل على تميز بين شيئين أو أكثر[2]، ويتفرع عن هذا الأصل اشتقاقات كثيرة منها: فرق، يفرق، فرقا،وفرقانا، فهو فارق ومفارق وفاروق وفرّق، يفرّق، تفريقا، فهو مُفرّق و مُفرّقٌ، وتفرق ، يتفرق، تفرقا، فهو متفرق وانفرق، والفرقة، والفرق.....الخ.

[1] - ينظر: مقاييس اللغة لمادة (سكن).
[2] - ينظر: مقاييس اللغة مادة (فرق).

الخاتمة

هذه بعض النتائج التي اهتديت إليها في بحثي و يبقى دور المستشرقين في خدمة التراث العربي على مزيد من الدراسات لأهميته.

- الاستشراق اتجاه فكري يعنى بدراسة الإسلام و المسلمين و يشمل كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام و المسلمين في العقيدة و السّنة و اللّغة و التّاريخ و غيرها.

- حرص المستشرقون على العناية باللّغة العربية فقاموا بمجهودات عديدة في الدرس اللّغوي العربي منهم المستشرق برجشتراسر فألف عدّة مؤلّفات منها: المدخل إلى اللّغات السامية و التطوّر النحوي للغة العربية .

- برجشتراسر مستشرق ألماني تعلّم عدّة لغات و لهجات قديمة و من مؤلّفاته : رسالة حنين بن اسحاق ، و كتاب الأسابيع لأبقراط ، و كتاب ابن خالويه في القراءات الشّاذة.

- اتبع برجشتراسر المنهج الوصفي في دراسته للظاهرة اللّغوية ، و المنهج المقارن في دراسته للعربية و اللّغات السامية .

- لمعرفة الصوت و تمييزه علينا تحديد المخرج و صفة الصوت وقد قسّم برجشتراسر الأصوات إلى آني ، ومتوسطة ، و رخوة.

- تؤدي الحركات إضافة إلى دورها الصوتي وظائف ذات أهمية على المستوى الصرفي و المعجمي و الدّلالي و النّحوي جميعا .

- إن برجشتراسر ينفي وجود ظاهرة التنغيم في تراثنا غير أنّ بعض الدّارسين المعاصرين يؤكد وجود التنغيم و الضّغط و من أشهر من نبّه على دراسة التنغيم إبراهيم أنيس .

- المماثلة تستغرق كلّ التقلّبات الصوتية التي تتجّه في معرض استقرارها صوب التقارب و التماثل.

- يبدو في تتابع الفتحة الخفيفة مع الصوت الحلقي الثقيل و كأنّه من اختيار الأخف للأثقل و لكن ما يؤكّده الدّرس الصوتي و برجشتراسر أنّ وضع اللّسان في إنتاج الفتحة هو نفس الوضع الدارسين اللسان مع أصوات الحلق حيث يكون منبسطا في قاع الفم في حالة إراحة.

- يمتاز الفعل في اللّغات السّامية بسلسلة من الأوزان المزيدة التي تعبّر عن معان مشتقة من المعنى الأساس و تصاغ بتغيير الجذر تغييرات ثابتة للتعبير عن شدّة الفعل أو تكراره و عن السببية و المشاركة في الفعل و البناء للمجهول و غير ذلك.

- الجملة في اللغات السّامية لها تركيب خاص يختلف عن الجملة في العربية و المجموعات الأخرى فهي تعتمد على الفعل اعتمادا كبيرا و تعدّه عمادها الذي ترتكز عليه ، و في العربية نجد الجملة مكوّنة أساسا من مسند و مسند إليه و هما أساسا الجملة.

- اللغات السّامية تختلف في أداة التّعريف فنجدها في العربية (أل) و في العبرية الهاء في أوّل الكلمة...

- تشترك اللغات السامية و من بينها العربية في الكثير من الكلمات و المفردات.

- يوجد ألفاظ دخيلة على العربية من فارسية و آرامية و حبشية...

بشادلي هندة

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الإهداء	
كلمة شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ب
المدخل:جهود المستشرقين في الدرس اللغوي العربي	
المبحث الأول: مفهوم الاستشراق و نشأته	1- 5
المبحث الثاني: جهود المستشرقين في الدرس اللغوي	5-11
الفصل الأول: التعريف ببرجشتراسر وبجهوده العلمية في خدمة التراث العربي	
المبحث الأول: حياته	12-14
المبحث الثاني: أهمّ مؤلفاته العلمية	14-22
المبحث الثالث: منهجه	22-25
الفصل الثاني: الدّراسة الصوتية و الصرفية	
المبحث الأول:محتويات الكتاب	26-27
المبحث الثاني:المباحث الصوتية	28-53
المبحث الثالث: المباحث الصرفية	53-67
الفصل الثالث:الدراسة التركيبية والدلالية	
المبحث الأول: الدراسة التركيبية	68-81
المبحث الثاني:الدراسة الدلالية	81-84
خاتمة	85-86
فهرس الموضوعات	87
فهرس المصادر و المراجع	88-91

فهرس
المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

1/ ابن منظور، لسان العرب ، ط ، دار صادر ، بيروت ، 1990-1410.

2/ سيبويه، الكتاب، بولاق،1315.

3/سيبويه ، الكتاب ، بولاق ، 1315 .

4/ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، 1979

5/أبي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق و تعليق بن حمد القوزي، ط1، مكتبة الاسكندرية، 1415-1994.

6/أبو الحسن علي الحسني الندوي ، مقالات و بحوث حول الاستشراق و المستشرقين، ط1، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت 1423-2002.

7/أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، د-ط، دار الفكر، القاهرة ، 1998.

8/أحمد عبد الحميد غراب ، رؤية اسلامية للاستشراق، د-ط، مكتبة مجلة البيان، الرياض، د-ت.

9/اسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون و نظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، ط3، دار وائل للنشر، عمان، 2001.

10/اسماعيل أحمد عمايرة ، المستشرقون و المناهج اللغوية، ط3، دار وائل للطباعة، الأردن، 2002.

11/اسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق و اللغة ، ط3، دار وائل ، الأردن، 2002.

12/برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، د-ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، 1402-1982.

13/جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، د-ط، تونس، 1966.

14/الحاج سالم الساسي، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية) ، ج1، دار المدار الإسلامي ، ليبيا، 2002.

15/ حسام بهنساوي، علم الأصوات، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 1425-2004.

16/ديزيره سقال، الصرف و علم الأصوات، ط1، دار الصداقة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1996.

17/رمزي منير بعلبكي، فقه العربية المقارن (دراسة في أصوات العربية و صرفها و نحوها على ضوء اللغات السامية) ، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1999.

18/رمضان عبد التواب، مدخل الى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ط3، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر ، القاهرة، 1417-1997.

19/ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة و تعليق كمال محمد بشير ، د-ط، مكتبة الشباب، 1975.

20/سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، ط1، دار المناهج للنشر و التوزيع، 1423-2003.

21/سيد فرج راشد، اللغة العبرية (قواعد و نصوص) ، د-ط، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1413-1993.

22/طاهر سليمان حمودة ، ابن القيم الجوزية جهوده في الدرس اللغوي ، د-ط، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، 1976.

23/عادل الآلوسي، التراث العربي و المستشرقون، ط1، 1422-2001.

24/عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات و اللهجات العربية القديمة، د-ط، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2003.

25/عجيل جاسم النشمي، المستشرقون ومصادر التشريع الاسلامي، ط1، 1984-1404.

26/عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، د-ط، مكتبة مدبولي ، د-ت.

27/عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، لبنان، 1993.

28/عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء للنشر و التوزيع، الأردن، 1998-1418.

29/عبد القادوس الأنصاري، الاستشراق و المستشرقون، د- ط، 1355.

30/عفت وصال حمزة، أساسيات في علم النحو، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر، لبنان، 1423.

31/علي بن ابراهيم، المستشرقون و التنصير، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، 1418-1998.

32/غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية"دراسة في أصوات المد العربية"، د- ط، دائرة الشئون الثقافية و النشر، العراق، 1984.

33/فرج السيد أحمد، الاستشراق(الذرائع – النشأة – المحتوى) ، ط1، دار طويق للنشر و التوزيع ، الرياض، 1993.

34/قاسم السامرائي،الاستشراق بين الافتعالية و الموضوعية، ط1، دار الرفاعي للنشر و التوزيع، الرياض، 1983.

35/كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، د-ط، جامعة عين شمس، الرياض، 1397-1977.

36/كمال بشر، علم الأصوات، د-ط، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2000.

37/محمد حسين علي الصغير ، المستشرقون و الدراسات الاسلامية، ط2، 1406-1982.

38/محمد عزت الطهطاوي، التبشير و الاستشراق وأحقاد و حملات على النبي - صلى الله عليه و سلم- و بلاد الاسلام ، د-ط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د-ت.

39/نايف سليمان، مستويات اللغة العربية، ط1، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، 2000-1420.

40/نجيب العقيقي، المستشرقون، ط1، بيروت، 1937.

المجلات:

41/فالح شبيب العجمي، المناهج الألمانية في دراسة الثقافة العربية ، مجلة الجزيرة ، العدد:125، السعودية ، 1426.